

مشروع العمر

إن ميلاد الإنسان الحقيقي

ليس تلك اللحظة التي يخرج صارخاً إلى الدنيا من بطن أمه
وإنما يولد الإنسان في اللحظة التي يعترف فيها على مشروعه

...

تأليف

د / مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

إلى المؤمنين بأن الحياة معركة نتائجها الكبرى بين يدي
الله تعالى يوم القيامة .

إلى كل الذين يتأهبون لصناعة المجد ، ويطمحون لتلك
الأمانى الكبار (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)

إلى أولئك

الذين يبحثون عن فكرة يصنعون بها تاريخهم ويشيدون بها واقع
أحلامهم ويأتون منها على استنفار طاقاتهم المثيرة في الحياة .

إلى كل المنتظرين !

إلى أصحاب الأمل والطموح والتحديات

(مشروع العمر)

هو الفكرة التي ستبعث أحلامكم في الدنيا حية من جديد !

إذا لم تكن (صدرًا) بأول جملة ... أو (فاعلاً) للمجد في

إسهاب

إياك أن تبقى (ضميراً غائباً) ... أو (لا محل له من

الإعراب)

إضاءة

كتب أحد العباد إلى الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ينكر عليه اشتغاله بالعلم ويدعوه إلى التفرغ إلى العبادة فكتب له الإمام مالك رحمه الله تعالى قائلاً : (إن الله تعالى قسّم الأعمال كما قسّم الأرزاق ، فرب رجل فُتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فُتح له في الجهاد . ونشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فُتح لي ، وما أظن ما أنا فيه دون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كالنا على خير)

المقدمة

(الأفكار والمفاهيم) أخطر ما يواجه الإنسان في حياته! وكم من فكرة أقامت صاحبها من فراش نومه في ساعة متأخرة ! وكم من فكرة أقعدت كبيراً بعد رحلة من الفاعلية في واقعه ! وهي صوت مالك بن نبي رحمه الله تعالى في حقبة من الزمن : المجتمعات لا تحسب بكثرة أفرادها ، وإنما تحسب بفاعلية هؤلاء الأفراد . اهـ والمشاريع الضخمة هي في الأصل لبنات ! وإذا رأيت حراكاً في واقع فتلك راية مصلح كوّنت في النهاية مساحات الربيع التي تراها .

إن حاجة الأمة اليوم لكل فرد فيها أشد من كل حاجة ، ولن تستطيع أن تأتي على شيء من آمالها ، وهمومها إلا من خلال هؤلاء الأفراد . واشوقاه إلى كل فرد يوسع مساحة الربيع ويأتي على هموم أمته من خلال فكرة حية ، ومشروع بهيج !

قوموا يرفاق رددوا في الآفاق :

لنفسى حياة مثل أن أتقدما

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد

ولكن على أقدامنا تقطر الدّما

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

لقد ظلت هذه الأمة إلى عهد قريب هي روح الدنيا ، وقلبها النابض ، وكانت أملاً لكل إنسان وما تزال . وإذا أرادت أن تستبقي هذه المعاني ، وتأتي على هذه الآمال ، وتمد في مساحة تأثيرها فعليها أن تفكر في استثمار قدرات أبنائها من خلال الأفكار والمفاهيم الفاعلة في واقعها . ما أحوجنا اليوم إلى استلهام ذكريات المجد ، وقراءة فتوح الناهضين ! قم يا صاحبي من سرير نومك ، وانفض من مساحة واقعك ، واستقبل فجر الأمل ،

وصافح الفأل ، واكتب لنا قصة المجد . وردد أماني الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه
قال لبعض الرفاق : تمنوا ! فكل أفاض في أمانيه وحين انتهوا ولم يشفوا له غليلاً قال :
لكنني أتمنى بيتاً مملوءاً رجالاً كأبي عبيدة ! واشوقاه للكبار ! وشوقاه لصناع التاريخ !
وشوقاه لحمّال المصابيح في غسق الدجى !

واصنع لنفسك منزلاً تعلق به
أو مت كريماً تحت ظل القسطل
فالموت لا ينجيك من آفاته
حصن ولو شيدته بالجنديل
موت الفنى في عزة خير له
من أن يموت أسير طرف أكحل
إن كنت في عدد العبيد فهمتي
فوق الثرياء والسماك الأعزل
أو أنكرت فرسان عبس نسبتى
فسنان رحمي والحسام يقر لي
لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

من أجل هذه المعاني كلها جاءت فكرة (مشروع العمر) الفكرة الحية التي ستأتي على
جزء كبير من آمال هذه الأمة ، وهي نبت ذلك السقاء في كتابي الأول : (ابدأ كتابة
حياتك) والتجربة التطبيقية الميدانية لذلك التنظير ! والأمل كبير أن يتداعى كبار الأمة
ومؤسساتها الفاعلة ، وكل طاقاتها إلى قراءة هذه الفكرة ، وصناعة أحلامها في الواقع ،
والتعاوض من أجل الإغراء بها وحين تستوي تطبيقاً سيكون للأمة بإذن الله تعالى شأن كبير
مثير ، ولو يبلغ مدى صوتي أذان العالمين لفعلت لعلهم يبلغهم ما يعجز عن وفائه الحرف .
الشكر لله تعالى الذي يهب لعبيده ما يشاء تفضلاً وإحساناً ثم لأبي سعود شاعر الحرف

والمعنى ، وأبي عبد الرحمن يحيى الحادثي على جهدهما في مراجعته وتصحيحه، ولكل الشركاء
في صناعة الفكرة ، ومد أثرها في الواقع ، داعياً الله تعالى أن يمد في أثرها ، ويحيي بها آمال
أمة في واقعها ، ويرزقها القبول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د / مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

المملكة العربية السعودية ، محافظة القنفذة ، حلي

Mashal001@hotmail.com

رسالت

لا تحدّثني عن عمرک ، وظروفک ، وبيئتک ،
حدّثني عن أحلامک وأمانیک وتحديات مستقبلک
الکبير . منجم الذهب يا صاحبي ، والحدیقت
الغناء ، والبُقعَة المثيرَة للعجب هي نفسک حين
تمنحها الثقت وتستقبل بها أحداث الحياة من جدید .

البدايات

كانت لحظة مثيرة تلك التي تم فيها تكريم أبينا آدم في مشهد بهيج من حضور الملائكة (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) واللحظات إنما تكتسب مكانتها من الأحداث التي تجري فيها .

لقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه من القدرات والإمكانات والقوى الكامنة ما كان بها صالحاً لعمارة الأرض ، وتحقيق الخلافة الكبرى فيها. ومن اللحظة التي أهبط فيها آدم إلى يومنا هذا ظلت الدنيا وما تزال بهيجة بالإنسان ، حافلة به مسرورة بلحظاته ، ومن مد بصره فيمن حوله أدرك هذا المعنى بجلاء !

ما أبهج المساحات التي يتحدث فيها إلى اختيار الله تعالى ، إلى خلقه وإبداعه، إلى نفخة روحه تعالى قبل أن يكون كومة من طين : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) إلى الذي سخر الله تعال له كل شيء (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) .
وكم من ناهض من فراش نومه أوقد سراج همته فابتدأ قصة مشروعه الكبير ، وقام يردد في العالمين :

فإما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدا

وأرجو أن نكون وإياك من أولئك الناهضين !

لدي حُلْم

(١)

واشوقاه إلى حلم يدفع بصاحبه إلى أماني الكبار ! واشوقاه إلى رحلة يجد فيها الإنسان طموحاته ، ويستنفر فيها طاقاته وإمكاناته وقدراته . ! أحلامك التي تُفكّر فيها اليوم هي واقعك الذي تعيشه في الغد ، ومن لا حلم له في واقع اليوم لا مشروع له في أحداث الغد.

كل هذه المشاريع الكبرى التي تراها ما ثلة في عالم الواقع كانت بالأمس أحلاماً في عقول أصحابها ، وما زالت أماني تتردد في أفكارهم ومشاعرهم حتى كوّنت مباحج النهايات .

ليكن لديك حلم يطوّح بأفكارك ومشاعرك إلى الغد ! إلى هناك ، إلى الغيب المنتظر والمسافات المجهولة ، إلى لحظات الفوز والغلبة والانتصار ! كن كأولئك الذين رأوا واقعهم قبل أن يصلوا إليه بعشرات السنين وما زالوا في الطريق إليه حتى كانت لحظات اللقاء .

أخرج من ضيق اللحظة ، وأسر الواقع ، وهموم المحيط إلى ساحات حلمك ومساحات الربيع في حياتك .

دعك من كل ما يقال حولك ، وما يثار في طريقك ، وما تتناقله مجالس المحبطين وانهمض إلى أحلامك الكبار .

أنا هنا لا أتكلم عن فكرة تود الوصول إليها ، كلا ! أتكلم عن حُلْم يقتات من مشاعرك ويعيش في وجدنك ، ويأخذ كل لحظة من تفكيرك .

احلم ! واجعل لنا من حلمك قصة تروى على الأجيال ! احلم لتقتات الأجيال القادمة من أملك .

احلم حتى لو كنت في بيت مستأجر ، أو عائلة فقيرة ، أو تعيش ظرفاً بائسة ، احلم
فسيأتي الربيع وتعود الأرض خضراء من جديد .

احلم أيها القارئ فالتاجر لم يولد يوماً وفي فمه ملعقة من ذهب ! والعالم ولد وهو لا
يعرف شيئاً من حروف الهجاء .

قم يا صاحبي إلى بيتك وعلّق على جداره قصة حلمك ، واكتب فيه رؤيتك ، وسجّل في
زواياه مشروعك الكبير ، وابدأ رحلة الأشواق إليه ، وقل لكل من وقف في طريقك أو
شكك في أحلامك ، أو استطال مسافة ذلك الأمل : (لدي حُلْم) وسيسقط أمام هذا
المعنى كل عقبات الطريق .

لدي حلم

(٢)

احلم يا صاحبي ففضاء الحريات أدعى لأن تعيش حلمك كما تشاء ! قم إلى ساحات الفضاء ، وتنفس أملك ، وابدأ رحلة أشواقك في الأرض ، ودعك من كل العراقيل التي يتحدثون عنها وإنما هي أوهام . لا تبقى جالساً ، منتظراً ، قلقاً فأنت أبهج مشاهد الكون والحياة لا تعترف إلا بالمتفائلين ! اخرج إلى ساحات الفضاء وردد كما ردد الأول :

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ - كَالنَّسْرِ فوقَ القَمَّةِ الشَّمَاءِ
أرْزُو إلى الشَّمْسِ المِضِيئةِ هازِئاً - بالسُّحْبِ والأَمْطَارِ والأَنْوَا
لا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكَثِيبَ ولا أَرى - مَا في قَرَارِ الهَوَّةِ السَّودَاءِ
وَأَسِيرُ في دُنْيَا المِشَاعِرِ حَالِماً - غَرْداً وتلكَ سَعَادَةُ الشِعْرَاءِ

(لدي حُلْم) هو الذي أخرج كعب بن مالك في ساعة متأخرة من الليل ليأتي للنبي صلى الله عليه وسلم بوضوئه وحين قال له صلى الله عليه وسلم : (سل يا ربيعة) قام الحلم يجيب : (أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله) .

(لدي حلم) هو ذاته الذي كان يعيش في مشاعر تلك الصالحة التي أصيبت بالصرع وتسقط متكشّفة في عرض الطريق فتأتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة : (ادع الله يا رسول الله أن يشفيني) فيقول لها : (إن شئت دعوت الله تعالى لك وإن صبرت فلك الجنة) فيقوم الحلم من جديد قائلاً : (بل أصبر يا رسول الله) وتعيش على شقاء الدنيا ونوبات الصرع تخنقها في كل حين ومشاعرها ترصد لحظات الحلم (إن صبرت فلك الجنة)

(لدي حُلْم) هو التي كَوّن لها رون الرشيد واقعه الذي يخاطب فيه يوماً سحابة في عرض السماء : (امطري حيث شئت فسيأتينا خراجك) .

(لدي حُلْم) هو الذي كان يخامر عقل هند ابنة عتبة زوجة أبي سفيان حين قال لها بعض متفرسي العرب (إني أتوسم في طفلك أن يسود قومه) فقالت : (ثَكَلْتَهُ إِنْ لَمْ يَسُدْ إِلَّا قَوْمَهُ) .

(لدي حُلْم) هو الذي جعل أبا بكر رضي الله تعالى عنه قصة تروى في العمل والبناء والتضحيات حتى إنه ليدعى يوم القيامة من أبواب الثمانية يدخل من أيها شاء .

(لدي حُلْم) هو الذي حفز بلال رضي الله تعالى عنه حتى إنه لا يتوضأ وضوءاً في أي ساعة من ليل أو نهار حتى يصلى بذلك الوضوء ركعتين .

(لدي حُلْم) هو الذي طَوَّحَ بهمة سعد بن معاذ حتى اهتز لموته عرش الرحمن ولم يتجاوز عمره في الإسلام سبع سنوات فقط .

(لدي حُلْم) ليست أمنية مجردة ! إذا أردت أن تصحب أصحابها وتأتي في فلك آمالها فعليك أن تخلو بنفسك ، وتفكر في مشروعك ، وتترك لخيالك يسبح في الفضاء كيف شاء!

(لدي حُلْم) تحتاج منك تفرغاً من شواغل نفسك ، وتفكيراً طويلاً في التاريخ الذي ستبدأ خطواته الأولى في واقعك .

(لدي حُلْم) تحتاج منك إلى قرار تتخذه مهما كانت كلفته ، ومهما كان طول أمده ومسافته .

(لدي حُلْم) ميلادك الجديد ! وتاريخ أحلامك ! وأيام الربيع في حياتك القادمة .

(لدي حُلْم)

(٣)

من حقك أن تحلم ، ومن حقك أن تبوح بأشجانك ، ومن حقك أن تتنفس في الدنيا كلها كما تشاء !

(لدي حُلْم) تحتاج منك أن تخطو في الأرض وأنت مشبع بالثقة ، مليء بالأحلام قادر على بذل كل ما يمكن للوصول إلى تلك الأحلام .

(لدي حُلْم) حق مشاع لكل إنسان يتنفس هواء هذه الحياة ، للرجل ، والمرأة ، والصغير والكبير ، والموظف والمتفرغ ، للمسافر والمقيم ، لا فرق في الأحلام بالذات بين كل حي .

(لدي حُلْم) يمكن أن تثيره في بيتك من خلال تربية ولدك وتأتي منه على أحلام مشروعك الكبير في الأرض (أو ولد صالح يدعو له) أو من خلال عملك ووظيفتك ، أو من خلال فكرتك التي تعيش من أجلها ، ومشروعك الكبير الذي تتنفس أحلامك كلها من أجله .

يا صاحبي ! ما دورك في أمتك ! ما ذا قدمت لمجتمعك ، وأمتك ، ودينك ! قم يا صاحبي فمن عاش لنفسه عاش صغيراً ومات يوم يموت وهو صغير ، ومن عاش لغيره عاش كبيراً ومات يوم يموت وهو كبير .

إلى متى ستظل قاعداً دون حراك ! إلى متى وأنت تعيش لنفسك ، إلى متى وأنت لم تغرد بعد بأحلام أمتك وأحاديث أشواقك !

(لدي حُلْم) يصنعها التاجر بماله ، والمعلم برسالته ، والتقني من خلال شاشته ، والشاعر والأديب من خلال حرفه ، وإمام المسجد من فناء مسجده وجامعه ، والمربي وحافظ القرآن من خلال حلقاته ومشروعه .

احلم يا صاحبي حتى لو كنت عاملاً مغترباً فالحياة أبهج من ظروفنا العارضة ، وأمتك أحوج ما تكون لفنك ومهارتك .

احلم أياً كان موقعك ، ونوع وظيفتك ، وتاريخ ولادتك ، احلم فالله تعالى خلقنا أحراراً ومن الغبن أن نموت دون أن نأتي على هذه الأحلام .

(لدي حُلْم) ردها الآن على لسانك ، واهتف بها في مشاعرك ، وحدّث بها من حولك وابدأ بها قصة مشروعك الكبير في الحياة . وغداً تروي لنا قصتك ، ويبعث لنا التاريخ أحداث روايتك .

وأنا (لدي حُلْم) ! هل تدري ما هو ! : حين تعتنق أنت فكرة (مشروع العمر) تتوسّع مساحة مشروعني ، وتنداح قصة أحلامي في الواقع من جديد .

رسالتہ

إن الهداية مراتب ، والصلاح درجات ، وأنا لا أتحدّث هنا إلى الناسك العابد الخائف من ثوران الشهوات والشبهات في عرض الطريق فذاك وشأنه وإنما أتحدّث عن صناع الحياة أصحاب المشاريع ، وروّاد الإصلاح ، وحاملي رايات الجهاد .

أتحدّث إلى الذين ولدوا على الأرض لا ليعيشوا لذواتهم معزولين عن واقع البناء ، وإنما ولدوا ليثيروا تحديات الواقع ، ويفسحوا في معاني الأمل ، ويوسعوا في مساحات الرقع الخضراء في الصحاري القاحلة .

أشواق الكبار

الأشواق فن ! تحتاج إلى قلوب تركض إليها ، ومشاعر تهتف بها ، وأحداث تدفع بصاحبها لعناقها . وإذا أردت أن تقرأ فنون هذه القصة وأحداث هذه الرواية وفصول هذا المعنى الكبير فاقراً قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وهو يتوق ويشتاق إلى تخليد ذكره ، وبقاء أثره ، وامتداد حياته من خلال ذلك الشوق (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) كان يعيش أمنية ألا يمر في الأرض مرور العابرين . وقرر أن يعيش حياتين : الحياة الأولى تلك التي يخوضها بجسده ، والأخرى تلك التي يثيرها بمشروعه ، وظل يهتف بأمنيته حتى كان له ما أراد . وكذلك الكبار !

ما أكثر ما تنداح الأشواق في قلوب الكبار ! وقل أن تجد مثيراً في واقعه إلا وهو يردد تلك الأمنية : (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) هذه أشواق القوم ! وتلك أمانيتهم ! ولن تجد كبيراً إلا وهو يتوق للمعالي ، ويزاحم على صفوف المبدعين !

جاء نبي الله تعالى سليمان عليه السلام ليضرب على كثير من الأماني ، والأشواق ، ويدعها صفحاً ، ويتوق ويشتاق لشيء لم يتكرر ، ولم يحدث في الأرض بعد ، ولا يمكن أن يتكرر في الواقع (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) والكبار لا يجد أمانيتهم شيء ، وإذا فقه الداعي معنى (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) كان من حقه أن يسبح في مشاعره كيف شاء !

وعلمنا نبينا صلى الله عليه أن المعالي أكبر من مجرد سؤال ، والأشواق المثيرة لا تحدها الأماني الضئيلة ! وقف واصفاً للجنة فأبلغنا أنها ليست درجة واحدة تجمع العالمين في ذات المكان رغم فوارق العمل ، كلا ! وإنما هي درجات : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ) وحين أبلغنا هذه الحقيقة الكبرى عاد يستنهض الهمم ويستنفر الطاقات ، ويطلق العنان لطموح العاملين قائلاً : (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ

عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) كأنه يقول : اقفزوا بهممكم ، وطيروا بأشواقكم ،
وارحلوا بقلوبكم ، وتعلقوا بالفردوس الأعلى فدونكم منازل الكبار ! . وما زالت الأمانى
والأشواق برجل حتى جعلته منة عداد المنفقين وهو لا يملك شيئاً من المال : (وَرَجُلٌ آتَاهُ
اللَّهُ عِلْمًا، وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ آتَانِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ؛ لَفَعَلْتُ مِثْلَ مَا
يَفْعَلُ فُلَانٌ، فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ) وكل إنسان يعيش في الدنيا على قدر أشواقه وأمانيه
وغداً تبين المسافات .

المشاريع والذكريات

كم من ذكرى ما زالت تمنح أصحابها الحياة ! وكم من مقبور هذه اللحظة يشارك في البناء ، ويمد في ساحات دينه ، ويأتي على هموم أمته !

ما رأيت مثل المشاريع تحلّد ذكريات أصحابها ، وتبقيهم أحياء حتى بعد رحيلهم من الأرض : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) وقد قال ابن الجوزي يحكي قصة الغابرين : فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى ، ومنهم من يذكر مئة سنة ثم يخفى ذكره وقبره ، ومنهم أعلاماً يبقى ذكرهم أبداً . اهـ وكم من مقبور نسي ذكره عند آخر تراب في يد قابه ! وإذا أردت قراءة قصص هذه الذكريات وأثر المشاريع فيها فافتح كتاباً ، أو اسمع إذاعة ، أو شاهد قناة أو اسمع أحاديث الراوين لترى الحقيقة أبين ما تكون .

يحكي (شفيق جبر) قصة وقعت له لها علاقة بالمشروع يقول فيها : كنت في بلد وشاركت ذات مرة في جنازة ، وحين دخلت تلك المقبرة وجدت على كل قبر لوحة تعرف بعمره فيكتب تاريخ ولادته وتاريخ وفاته إلا أن ثمة مفارقة عجيبة ومسألة غامضة فيما بين تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة فعلى القبر الأول ولد عام ١٩٥٠ م وتوفي عام ١٩٩٠م وعمره عام واحد ، وآخر ولد في عام ١٩١٠ م وتوفي في عام ١٩٨٠م وعمره عشرون عاماً ، فظننت أن ثمة خطأ في تدوين تاريخ عمر كل إنسان فلما خرجت سألت فقيلاً لي : إننا لا نحسب من عمر الإنسان إلا الذي قضاه في مشروع ، وما عدا ذلك فنعدده هباء لا قيمة له فرجع إلى نفسه سائلاً لائماً وعاتباً : وأنا إذا مت عندكم فاكتبوا على قبري (شفيق جبر من بطن أمه إلى عالم القبر) . قال الطنطاوي رحمه الله تعالى معلقاً على هذا المعنى : (الحياة ليست بطول السنين ، وإنما بعرض الأحداث) . وكم من حي يحتاج إلى من يصيح في أذنيه

فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها

فأذكر للإنسان عمره ثاني

ما المشروع ؟^١

المشروع العمري هو مشروع تتضح في ذهن صاحبه أهدافه وتستولي فكرته على فكره وعقله ويبدل له جميع طاقاته ..

هذا هو مشروع العمر الذي نصبت لك رايته في هذا الكتاب ، وفرضت لك من سنام وقتي أجله وأثمنه ، وكتبت إليك به وروحي تنزع إلى حروفه ، وما حرف متين في حياة صاحبه أمثل من فكرة تأتي على قدرات إنسان وطاقاته وإمكاناته في الواقع يوماً ما !

مشروع العمر تخصص ، ومجال تحبه ، وتعشقه ، وتهفو إليه بمشاعرك وقلبك وتجد فيه رواء روحك ووجدانك .

هو يا صاحبي الهدف الكبير الذي نصبته لنفسك ، وتوجهت إليه بقلبك ، وسعيت له بكل ما تملك من وقت وجهد ومال ليكون الذكرى التي تقصها الأجيال ، والحياة التي تثيرها المشاريع فيما بعد .

مشروع العمر رسالتك في الحياة ، ورؤيتك التي كتبتها لنفسك ، وتود أن تراها واقعاً بعد سنين من عمرك ! .

مشروع فكرة تلامس مشاعرك ، وتهتف بقلبك ، وتجد روحك فيه كأنك تولد عند ذكرها من جديد .

^١ .نشوء الفكرة كان قبل سنوات طويلة إثر كلمة سمعتها من فضيلة الدكتور / عبد الله الشهراني في لقاء جمعي به ، قلت ذلك عرفاناً لصاحب الفضل الأول ، وحتى تعلم أثر الكلمة

العملية التي تلبس ثوب الصدق ماذا تترك في قلوب الآخرين .

مشروع العمر عمل يلد أول ما يلد فكرة في ذهنك ، ثم ينمو مع الأيام كما ينمو الجنين ، وما يزال يكبر حتى يكون في النهاية كل شيء . يلد كما قلت لك فكرة ثم تتعاهدها بأحلامك ، وتفكيرك ، وتشغل بها نفسك كل يوم ، حتى تراها في كل موقف ، وتتجسدها في كل لقاء .

مشروع العمر قد يكون عملاً علمياً ، أو تربوياً ، أو اجتماعياً ، أو تقنياً ، أو أدبياً ، وقد يكون ما يكون ... المهم أنه في النهاية عمل ورسالة يستطيع في النهاية أن يقف على قدميه ، ويدعو الناس إلى رؤيته ومشاهدته ، ويبقى شاهداً لك في الدارين .

دعوة

يستطيع كثير من أفراد هذه الأمة أن يتخيل أن حياته عبارة عن مشروع أنشأته أمة الإسلام واستثمرت فيه ، ثم أوكلته إليه ليديره ويتابعه ، ويبذل فيه من ماله ووقته وجهده ، وقد قبل هذه الوكالة ، وشرع يحاول في جعل ذلك المشروع ناجحاً ومثمراً ، بل يحاول أن يجعل منه مشروعاً نموذجياً بين المشروعات المناظرة . (د . بكار)

تأصيل المشروع

القارئ لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يجد دعوة ظاهرة لفكرة المشروع قال تعالى : (ولكل وجهة هو موليها) ففي الآية دعوة لكل إنسان أن يختار ما يلائمه من المشاريع والتخصصات ، وفيها إشارة إلى أن الناس قدرات مختلفة ومتباينة فلا يصلح لها مجال أو تخصص أو مشروع واحد، وعلى كل إنسان أن يشارك في العمل الذي يناسب هذه القدرات وتلك الإمكانيات .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) دعوة لكل فرد أن يستثمر طاقاته ويوسع أثره ويبني مشروعه الذي يبقى حياً ماثلاً بعد رحيله ، بل في الحديث إغراء مثير أن يعيش الإنسان حياتين ، وألا يكون من أولئك الذين تنقطع أعمالهم بعد رحيلهم من الأرض . كأنه صلى الله عليه وسلم يقول : الأصل في الأعمال أنها تنقطع ، ولا تدوم ، وإذا أرد الإنسان أن يبقى أثره ، ويحيي ذكره ، ويبقى حياً في العالمين فلينظر إلى مشروع يعيش من أجله ، ويستنفر فيه طاقاته وإمكاناته حتى إذا ما رحل بقي أثره وفكرته ومشروعه يذكر به ، ويهيل على قبره بالذكرات .

وأبان صلى الله عليه وسلم أن منازل الناس يوم القيامة ومدخلهم في الجنة من أبواب الأعمال التي تميزوا فيها ومنحوها أوقاتهم ، وأثاروها بالبناء والتضحيات فقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ) .

وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه مثلاً يصلح لخليط من الأعمال والمشاريع ويستطيع أن يصنع فيها تميزاً ظاهراً بيئياً حتى قال رضي الله تعالى عنه : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا

عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: (نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ) .

وأرشد صلى الله عليه وسلم أن كل إنسان خلق لتوجه معين ، ومجال محدد فقال صلى الله عليه وسلم : (أعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

ووجه صلى الله عليه وسلم : بأن من كمال عقل الإنسان ، وفقهه بنفسه ، وإدراكه لإمكاناته أن يحدد المشروع المناسب له ، وألا يكلف نفسه فوق طاقته فقال صلى الله عليه وسلم : (أكلفوا من العمل ما تطيقون) ومن أخذ شيئاً لا يناسبه ، أو حمل نفسه مجالاً لا يطيقه وجد مضضاً من العمل ، وضائق عليه نفسه ، ولم يجد استمتاعاً بوقته ، وكان ذلك الخيار جالباً للضيق ، والعسر ، والمشقة وأكلف نفسه في النهاية ما لا يطيق .

إن هذه المعاني في الوحي كافية جداً للولع بالفكرة ، والحدب عليها ، والوصول إليها بكل ممكن ، ومن قرأ سير صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد نماذج كثيرة ومثيرة آمنت بالفكرة ، وسعت إليها بكل ما تملك ، وبذلت في سبيل الوصول إليها كل شيء ، وباتت في النهاية واقعاً يدكر بها ، ويعيد وهج ذكرياتها في كل زمان ومكان .

إضاءة :

أسوأ فكرة تواجهنا تلك التي تحدثنا من الداخل أننا أقل من تلك الأماني التي نريدها في مستقبل الأيام .

لماذا المشاريع ؟

لعل من الأسئلة التي تدور في ذهن القارئ لهذا الكتاب : لماذا المشاريع بالذات ؟ لماذا هذا الحديث الطويل عنها مع أنه يمكن للإنسان أن يقدم عملاً لا تنطبق عليه صفة المشروع لكنه عملٌ مباركٌ نافِعٌ يخدم به نفسه ويدعم به رسالة مجتمعه وأمته ؟ ويمكن أن يُجاب على هذا السؤال من خلال الآتي :

أولاً : المشروع يختلف عن أي عمل آخر لأن كل عمل تلبس باسم المشروع صار إلى الدوام أقرب منه إلى الزوال ، فغالب الأعمال التي يقدمها الإنسان في حياته تنتهي بانتهاء اللحظة التي يفارقها فيها ، وفي انتهاء العمل توقف لرحلة الأجر ، وكل عاقل يهفو لاستمرار أجره ، و ينتظر كل لحظة تزيد فيها حسناته ، وحاجتنا إلى حسنات دائمة وأجور مستمرة أبلغ من كل حاجة ، وهذا كله مقرون برحلة الإنسان في مشروع ، وقد تتقاصر أو تتلاشى في بقية الأعمال مهما كانت زاكية وكبيرة .

إن المشروع يحتاج إلى جهد وعناء وبذل وتضحية ، وفي صحيح الوحي : (أجرك على قدر مشقتك) والفرق بين العمل العابر والمشروع فرق هائل فحاجة المشروع إلى التضحيات أكبر من حاجة العمل ، والعوائد منه في النهاية أكبر بكثير من الأعمال العابرة في حياة إنسان .

ثانياً : أثر المشاريع أكبر ، ودائرة تأثيرها أوسع ، وتحتاج في المقابل إلى جهود أكبر من تلك التي تصرف لصالح العمل ، وحاجة الأمة اليوم ملحة إلى هذا السهم من الإصلاح ، وهذا الدور المثير من المسؤولية ، وكلما ما عظم المشروع زادت مساحة الأثر في الواقع .

إن الأمة اليوم أحوج ما تكون إلى رجال يمثلونها ، ويقفون على ثغراتها ، ويجودون بكل ما يملكون لسد حاجتها ، وحين يفقه أفراد الأمة أدوارهم ، وحاجة الأمة الملحة إليهم لن

يجدوا أكثر أثراً من تراحمهم على إقامة مشاريع تدفع بعجلة أمتهم إلى الصفوف الأول ، بخلاف العمل الذي يستطيع أن يقوم به أي فرد ، ويشارك به في البناء على قدر سعته وطاقته وقدرته .

ثالثاً : العمل في مشروع استفزاز لطاقات الإنسان وقدراته ، وبعث لقواه وإمكاناته ، وتحد كبير يخوضه في مستقبل حياته ! بخلاف العمل الذي يقدم بأقل ما يمكن من جهد . المشاريع تظل قائمة في وجه صاحبها وتحتاج إلى عمل مستمر ودأب كبير في الوصول بها إلى نهاياته .

إن العمل مهما كان كبيراً لا يمثل اختباراً دقيقاً لقدرات الإنسان وطاقاته ، ولا يستطيع أن يقف فيه الإنسان في النهاية على تقييم لتلك الإمكانيات والقدرات ، ويظل السهم الذي يدفع فيه ولو كان ضعيفاً كافياً على الأقل في ذهن صاحبه . بينما المشروع يمثل اختباراً قاسياً لتلك القدرات ، ويظل ملحاً على النهوض والوقوف بقوة أو السقوط والإخفاق بالكلية . المشروع يستنفر كل طاقات الإنسان ، وإمكاناته ، وقدراته ، ويستحوذ على وقته وجهده ومشاعره ، لأنه يمثل حياً لدى صاحبه ، وينطلق فيه رغبة وشوقاً بخلاف العمل الذي يُدفع إليه رغبة في أجر ، أو حياً للمشاركة في البناء فلا يجد فيه من الشوق والحب والإجلال ما يجد في أجواء المشروع . إن الإنسان يقدم عملاً ، ويشعر فيه بالمشاركة الوجدانية لأتمته لكنه يقدمه وهو يشعر بالتعب ، والجهد المبذول ، والطاقات المهتدة ، وغالباً ما يجد مض الألم ، وتثور منه الشكوى نتيجة ما يلقاه من عوارض العمل بخلاف المشروع فإنه يقدمه وهو يشعر باللذة والراحة والطمأنينة ، والرواء النفسي الذي يخامره في كل لحظة من لحظات مشروعه .

رابعاً : العمل لا يتشوّف معه صاحبه لنتائج كبيرة ، ونجاحات ضخمة ، ومستقبل عريض يكفيه منه لحظات الأجر العارضة في الطريق ، بخلاف المشروع الذي يعيش فيه صاحبه

وهو بيني تاريخاً ، ويشيد واقعاً محسوساً ، ويعيش في كل لحظة من مشروعه وهو يحاول أن يجسد هذه الأماني التي يعيشها إلى واقع تجري عليه آثاره في الدارين .

خامساً : العمل لا يمكن الإنسان من استشراق المستقبل ، يكفيه اللحظات العابرة ، والفرص السانحة ، بخلاف المشروع فإنه يمكن صاحبه من العيش مرتين ، الأولى تلك التي يخوضها بجسده ، والثانية تلك التي يعيشها بمشروعه بعد رحيله . إن صاحب المشروع يعيش مشروعه وهو يتخيّل الحياة الأخرى التي يظل فيها حياً رغم الرحيل ، ومؤثراً رغم البعد ، ولا يتوقف تأثيره لمرض أو عارض أو موت بل يظل أثره سائراً مثيراً في واقع الأرض .

إضاءة :

كثيرة هي الأبواب التي تحتاج إدمان قرع

يمكن أن يعمل الناس

(٨) ساعات يومياً من أجل الراتب

(١٠) ساعات يومياً من أجل المدير الجيد

(٢٤) ساعة من أجل فكرة يؤمنون بها

(جورج برنارد)

أصحاب المشاريع

(١)

تظل الحاجة إلى القدوة كبيرة وملحة ، ويشتاق الناس للتجربة العملية التطبيقية أشد من اشتياقهم للكلمة حتى وإن كانت تطرب القلب وتلهب المشاعر ..

إن أصحاب المشاريع في الأمة عدد كبير ، كتبوا مشاريعهم تجربة تطبيقية ونجاحاً عملياً ، ولم يتركوا للكلام مساحة بقدر ما تركوا العمل يتحدث عن نفسه واقعاً تشاهده الأجيال حياً قبل أن تقرأه حبراً على صفحات الكتب . وسأجمع لك في هذه المساحة جملة من أصحاب المشاريع ممن صنعوا تاريخاً ، وتركوا أثراً ، وبنوا لهم من الذكريات ما تأتي على آمالهم بعد سنين .

الرسول عليهم صلوات الله تعالى وسلامه من زمن نوح إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلهم جاؤوا بأعظم مشروع إلى الدنيا " مشروع الدعوة إلى الله تعالى " وظلوا مستميتين في تحقيق مشاريعهم ، جادين في بلوغها إلى غاياتها ، وقد عاشوا لها كل لحظة من حياتهم ، وما من صاحب مشروع اليوم إلى قيام الساعة إلا وهو يشرب من معينهم ، ويسير في ركابهم .

أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه عاش لمشروعه حفظ وضبط كتاب الله تعالى ولم يزل عاكفاً على مشروعه مهتماً به غارقاً في تفاصيله حتى وصل فيه للدرجة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم له " إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن " قال أبيُّ : آله سمانى لك ؟ قال :

نعم ، قال : وذكرت عند رب العالمين ؟ قال : " نعم " فذرفت عيناه " وهو ممن جمع القرآن الكريم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مرة من المرات صدره قائلاً " ليهنك العلم أبا المنذر "

حسان بن ثابت رضي الله عنه كان مشروعه الذي عاش له " الشعر " حتى كان شاعر الدعوة في زمانه ، وتقوّت بمشروعه الدعوة ، وشاع به دين الله تعالى في الأرض ، وهزم به الأعداء هزائم نفسية في مواقف كثيرة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم " أجب عني ، أيديك الله بروح القدس " وقال له صلى الله عليه وسلم " اهجم وجبريل معك " وقال صلى الله عليه وسلم في بيان أثر المشروع في رفعة الدين ، وهزيمة الباطل " إنه أشد عليهم من وقع النبيل "

خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه كان مشروعه الذي عاش له دقائق حياته وتفصيل عمره " الجهاد في سبيل الله " حتى قال الذهبي عنه " سيف الله تعالى ، وفارس الإسلام ، وليث المشاهد ، السيد الإمام الأمير الكبير قائد المجاهدين أبو سليمان المخزومي المكي شهد الفتح وحنيناً وتأمراً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم واحتبس أذراعه ولامته في سبيل الله ، وحارب أهل الردة ومسيلمة وغزا العراق واستظهر ثم اخترق البرية السماوية بحيث قطع المفازة من حد العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه ، وشهد حروب الشام ، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه طابع الشهادة ، عاش ستين سنة ، وقتل جماعة من الأبطال ، ومات على فراشه فلا قرت أعين الجبناء . اه ووصل شغفه بمشروعه وحبه له وانتماؤه إليه حتى قال : ما من ليلة يُهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أحبّ إليّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبّح فيها العدو " وتعذّر في آخر حياته عن

بعده عن انشغال بمشروعه عن كتاب الله تعالى قائلاً : منعني الجهاد كثيراً من القراءة . .
وها هو يبكي في آخر لحظاته في الدنيا ، ويكتب لنا بمداد من ذهب عظمة المشروع في
حياته قائلاً : لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية
بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء .
عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها وأرضاها كان مشروعها الذي عاشت له
حياتها " العلم " حتى بلغ مسندها " ألفين ومئتين وعشرة أحاديث " قال الذهبي : ولا
أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من النساء ، بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم
منها . اهـ

أبو هريرة الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه صاحب مشروع عاش له لحظاته ، وبذل
فيه أوقاته ، وأودع فيه كل ما يملك من جهد وفي النهاية غادر أبو هريرة الدنيا ، وظل
مشروعه نхраً دافقاً يجري في جسد الأمة يحييها كل لحظة ، ويهتف بها إلى رحاب السنة
النبوية كل حين . عاش لمشروعه وحفظ الوحي ولا يذكر نبيك صلى الله عليه وسلم اليوم
في مجلس أو لقاء أو درس أو اجتماع إلا وبصحبتة هذا الصحابي الجليل رضي الله تعالى
عنه . فكم هي ممن المشاريع على أصحابها !

أصحاب المشاريع

(٢)

من الكبار الذين صنعوا مشاريعهم ، وعرفوا الفكرة الحية التي يعيشون من أجلها ، وأدركوا أن قيمة الإنسان من خلال مشروعه الذي يدفع به في تاريخ أمته : البخاري رحمه الله تعالى ومشروعه العمري حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدأت رحلة مشروعه واستنهض همته له وهو في سن العاشرة ولم يتركه حتى رحل من الدنيا وعمره اثنتان وستون سنة وقضى في مشروعه ما يزيد على خمسين سنة .

لم يكن مشروع البخاري الذي تراه الأمة اليوم بهذا الحجم وليد لحظات باردة .. كلا وإنما كان ضجيع التعب والهموم والمعاناة الكبرى ، بلغ من عنايته بمشروعه أنه لم يدون حديثاً واحداً في كتابه الصحيح حتى يغتسل ويصلي ركعتين ، ولم يرحل صاحب المشروع حتى اعترف له أصحاب الشأن ورفقاء الدرب بلقب أمير المؤمنين في الحديث ، حتى قال ابن خزيمة واصفاً صاحب المشروع : " ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري . وقال أبو جعفر سمعت يحيى بن جعفر يقول " لو قدر لي أن أزيد في عمر محمد بن اسماعيل من عمري لفعلت ؛ فإن موتى يكون موت رجل واحد ، وموته ذهاب العلم . وودّع البخاري الدنيا وترك لنا صحيحه علامة شاهدة على روح مشروعه وأثره ، ويكفيه شرفاً وقدرًا ورفعة أن أقام النبي صلى الله عليه وسلم بين الأمة ناطقاً في كل لحظة إلى قيام الساعة .

الحافظ ابن حجر . رحمه الله تعالى . ومشروعه " تأليف كتاب فتح الباري الذي شرح فيه صحيح البخاري " وقضى في مشروعه خمسة وعشرين عاماً ، حتى قال الشوكاني رحمه الله تعالى : لا هجرة بعد الفتح . اهـ وها هي الأمة من تاريخ الحافظ إلى يومها هذا تعد الفتح أعظم المشاريع التي خُطت لبيان جلاله أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وأحمد بن حنبل الأئمة الأربعة الكبار رؤاد المشاريع ، وصانعو التاريخ ، وأصحاب المذاهب المشهورة والتي لا زالت الأمة تتعلم منهم ، وتهتدي للحق من خلال مشاريعهم ، وتمضي سالكة إلى ربها تعالى من خلال التفقه على مذاهبهم .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون رحمه الله تعالى وقد قدم للأمة مشروعاً فكرياً كبيراً تمثل في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ولأثر المشروع وأهميته في حياة الأمم اليوم رفع به ابن خلدون إلى كبار المفكرين حتى قيل عن مشروعه : عمل لم يقم بمثله إنسان في أي زمان ومكان .

جابر بن حيان ، ومشروعه علم الكيمياء الذي برع فيه وصرف له كل ما يملك من وقت وجهد وعناء حتى صار هذا العلم يعرف به فيقال : علم جابر ، حتى قال عنه ابن خلدون : إمام المدونين . في علم الكيمياء . جابر بن حيان ، حتى إنهم يخصصونها به فيسمونها " علم جابر " وله فيها سبعون رسالة . اهـ وعُد صاحب المشروع أول من أدخل التجربة العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي ، وقد عكف على مشروعه واهتم به وعني بنجاحه ، وكتب فيه مؤلفات وترجمت هذه الكتب إلى اللغة اللاتينية وظلت هذه الكتب هي المرجع الأوفى للكيمياء قريباً من ألف عام .

محمد بن موسى الخوارزمي ومشروعه علم الجبر والذي يعرف باسمه إلى اليوم في بلاد الدنيا ، واعترف علماء الغرب قاطبة بأثره في علم الجبر ووصفوه بأنه أعظم رياضي في عصره ، بل عده بعضهم أعظم رياضي في كافة العصور .. وهذا كله يدل على عظم مشروعه في الأرض ، وأثره في تحريك الحركة العلمية في الحياة ونماذج أخرى مماثلة في الساحة العلمية التجريبية كالرازي أحد أعلام الطب ، وابن النفيس ، ومالك بن نبي في مشروعه الفكري ، وأبي الأعلى المودودي ، وآخرين على ذات الطريق أسهموا بجلاء في تقدم الأمة ، وكتابة تاريخها المثير .

سليمان بن عبد العزيز الراجحي ، في مشروعه المالي ، بدأت رحلته لمشروعه في سن العاشرة أو قبل ذلك بقليل ، وظل مرابطاً على هذا المشروع ، وقدم له ما يستحق أن يكون به كبيراً ، وها هو يدفع به في تاريخ الأمة من أوسع نطاق .

أصحاب المشاريع

(٣)

من الكبار الذين لم يرحلوا من الدنيا حتى صنعوا فيها واقعاً بهيجاً ، ومدوا في مساحتها عبد الرحمن السميّط في مشروعه الدعوي ، ترك لأجل مشروعه الوطن ، ورحل إلى بلاد إفريقيا حتى قيل في وصفه " الرجل الذي غيرّ القارة " ومضت الأيام وها هو يعانق بطموحه المجد ، ويقف مشروعه ماثلاً بعد أن استوى على سوقه ، ولعله بلغك أن إحدى النتائج لذلك المشروع اليوم إسلام ما يزيد على ستة عشر مليوناً من غير البرامج والمشروعات العلمية ، والطبية ، والاجتماعية ، وغداً بين يدي الله تعالى تبين الفوارق بين العالمين .

الألباني رحمه الله تعالى ومشروعه تحقيق حديث النبي صلى الله عليه وسلم " أعظم المشاريع في العصر الحاضر ، وأزكاها أثراً في حياة الأمة ، وقد عاش مشروعه كل لحظات عمره ، وتحول به من صاحب محل لا يتجاوز مترين يُصلح فيه بضع ساعات إلى الدنيا قاطبة يكتب فيها أعظم الذكريات ! ولا تكاد اليوم تسمع درساً أو خطبة أو كلمة في أصقاع الأرض إلا وهو حاضر فيها باسط الذكريات !

مشروع " قنوات المجد الفضائية " والذي يعد باكورة المشاريع الإعلامية الرائدة على مستوى الأمة ، وتقدم من خلال هذه المشروع قيم الدين ، وتبني توجهات الأجيال ، وتعين على بلوغ الناس لغاياتهم الكبرى في الحياة .

محمد يوسف سيّتي ، باكستاني الجنسية ، بدأ مشروعه في بلاده ثم قدم مكة ليستكمل فيها رحلة المشروع ، وأنشأ أول جمعية لتحفيظ القرآن بمكة المكرمة عام (١٣٨٢ هـ) وجلب

لهذه الجمعية معلمين من باكستان ، ثم توجه بعد عامين من نشوء الجمعية في مكة المكرمة إلى المدينة النبوية وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة عام (١٣٨٤ هـ) ثم بعد مضي عامين توجه إلى مدينة الرياض وأنشأ بها جمعية تحفيظ القرآن الكريم عام (١٣٨٦ هـ) ورحل محمد يوسف سيتي ولقي ربه ، وتواصل بعده ذلك المشروع في مدن المملكة العربية السعودية ، وبلاد العالم الإسلامي ، وما تراه اليوم من هذه الجموع المباركة من علماء وأئمة وخطباء وطلاب علم ورؤاد إصلاح هي بعض ثمار مشروعه الكبير .^١

محمد توفيق : الرجل المؤسسة كما يصفه بعض الكتاب ، مشروعه دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، امتد مشروعه إلى ما يزيد على السبعين عاماً ، بدأت فكرة المشروع لدى الرجل مما رآه من افتتان العرب والمسلمين بالأجانب ، يقول فإذا استطعت أن أقنع هؤلاء الأجانب بالإسلام أجبرنا المفتونين للالتفات إلى عظمة ديننا والالتزام به ، انطلق مشروعه وكانت سياسته ألا يترك من يبدأ في دعوته إلا بعد أن يعلن الشهادتين ، وكانت أقصر مدة للدعوة شهرين ، وأطول مدة خاضها سبعة عشر عاماً ، وواصل مشروعه ، واستمر فيه ، وأسلم على يديه آلاف ، من هؤلاء قسيس يعمل أستاذاً للأدب في جامعة الفاتيكان ، وقاضي جزيرة سان موريس ، والقائد الهولندي " كلنجر " الذي أسمى نفسه " محمد توفيق كلنجر " تيمناً باسم صديقه محمد توفيق ، وناهض التسعين عاماً من عمره وهو لا يزال ينوء بمشروعه ويحلم بتحقيق آماله في الحياة .

عبد الحميد بن باديس رحمه الله تعالى في مشروعه الدعوي أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر ، خاض مشروعه بعد احتلال الجزائر بستين سنة من خلال دروس العلم ، والدعوة ،

^١ . مجلة البيان ، العدد (٢٥٣) لكتابه / خالد بن عبد الله الفوزان

ومشاريع الإصلاح على تنوعها . ولم يرحل حتى كَوّن لبنات هي التي ساهمت في استعادة البلاد أرضها ، وبدأت رحلة الحرية في وقعها من جديد .

أحمد ديدات رحمه الله تعالى من خلال مشروعه (الدعوة للإسلام) من خلال المناظرات والندوات والمحاضرات والكتب والمعاهد الشرعية لتخريج الدعاة للإسلام وفتح الله تعالى على يديه من خلال هذا المشروع آفاقاً واسعة ، ولو لم يكن من أثره إلى طالبه اليافع الداعية الهندي (ذاكر) الذي يمد في رقعة هذا الدين من خلال ذات المشروع لكان كافياً في المقام .

عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى في مشروعه الدعوي والعلمي والذي كَوّن به طلاباً كحافظ حكمي ، وعبد الله البسام ، وعبد الله بن عقيل رحمهم الله تعالى ، وفتح به آفاقاً للدعوة من خلال فتح المدارس وبناء المساجد وتعليم الناس من القصيم مروراً بالحجاز إلى اليمن . وكم من أجيال تروي أثره ، وتمد في قصة مشروعه ، وتبعث في أحلامه ، وتعيد ذكرياته في الواقع من جديد .

د علي بن عبد الله الفقيه والذي حول حملات الملاريا التي تقيمها وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية إلى مشروع صحي ضخم (جمعية زمزم للخدمات الصحية التطوعية) والتي هي اليوم شامة في العمل الخيري في هذه البلاد ، وصنع من محافظة القنفذة من خلال العمل على تأهيل طاقاتها حكاية من أمل كانت أمنية في مساحة ضيقة وهي اليوم أفسح ما تكون في الأرض ، ورحل رحمه الله تعالى من الدنيا وهو في باكر شبابه ، وخلف حُماً للرسالة ، وصناعاً للمشاريع ، وكم من أثر يحكي قصة ! وتاريخ يمد في مساحة ، وشواهد تدفع بآمال ذلك المشروع من خلال هذه الذكريات !

أصحاب المشاريع

(٤)

حفظي سائق شاحنة في أوروبا أراد أن يشارك في بناء أمته ، ويحقق حلمه من خلال مشروع الإذاعة فصنع إذاعة في النمسا بيت منها دين الله تعالى إلى أقطار الأرض ، بدأ مشروعه من خلال صناعة مقاطع نشيد ثم تحولت الفكرة إلى إذاعة يسجل فيها محاضرات العلماء ثم ييئها للعالم ، ويستجلب دعاة يشاركون في الإذاعة بشكل مباشر ، ثم توسعت هذه الإذاعة ، وأصبحت تبث للعالم ما يثير شجون صاحبها وآمال أمته . واستطاع سائق الشاحنة أن يدخل صفوف الكبار ، ويفقه لغة المشاريع ، ويعيش في جزء من الأرض ينوء بأحمال مشروع ، وهموم أمة ، وتحديات واقع .

المرأة السوداء قصة مشروع مثير في الواقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قصدت تأخيره إلى هذه المساحة خشيت أنك تقرأ صناع المشاريع والتجارب الضخمة ويحول حجم المشاريع بينك وبين أمانيك .

هذه المرأة استطاعت أن تقرأ قدراتها وإمكاناتها بوعي فحددت مشروعها بناء على تلك القدرات والإمكانات فبنت لها خباءً في المسجد ، وعكفت على تنظيف المسجد وحين رحلت من الأرض في ساعة متأخرة من الليل غسلها الصحابة وصلوا عليها ودفنوها ولم يبلغوا نبي الله صلى الله عليه وسلم برحيلها ، وحين جاء الفجر فجع النبي صلى الله عليه وسلم برحيل صاحبة وسأل عنها وتأسف على فواتها وعتب على الصحابة في عدم إبلاغه ثم يمم وجهه إلى قبرها صلى الله عليه وسلم موادعاً . إن المثير أن صانعة هذا المشروع امرأة

، ضعيفة الإمكانيات واستطاعت رغم هذه الظروف أن تحدد قدراتها ، وتتعرف على إمكاناتها ثم تحدد مشروعها وتبدأ رحلة العمل حتى أتت في النهاية منه على أبهج اللحظات.

إنني أذكرك في ختام جولة هؤلاء الكبار أن اعتناق هذه الفكرة (مشروع العمر) ليست حكراً على أحد ، ولا يحكمها سن ، ولا بيئة ، ولا ظروف فقط تحتاج صاحب هم وإرادة وتحديات وهي كافية في عناق هذه الفكرة ، وصناعة أحلامها في الواقع القريب بإذن الله تعالى .

إضاءة : في باب الاستئذان لا تطرق على باب فوق ثلاث وفي باب طلب المجد لا تترك ذلك الباب حتى يفتح لك .

رسالت

وأنا أزعج أن كل صاحب مهنة ذي مهارة فيها ، وكل عالم في باب من أبواب العلم ، وكل فنان ، وكل ذي مركز مالي متميز يمكنه أن يكون صانعاً للحياة ومحوراً تدور حوله أعداد كبيرة من الناس .

(الراشد في كتابه صناعة الحياة)

مشاريع مقترحة

المشاريع التي يمكن أن ينتسب لها الإنسان كثيرة ، ومختلفة ، ومتنوعة ، ويمكن لك أن تختار مشروعك في الحياة كما تريد ، وسأعرض لك هنا بعضاً من المشاريع التي يمكن أن تكون إضاءة على طريق هذا العالم الفسيح في حياتك في مستقبل الأيام .

من تلك المشاريع : إغاثة الفقراء والمساكين والمعوقين والأرامل والأيتام وتفريج كربهم وسد حاجتهم ولو لم يكن في ذلك إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم " أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة) وقوله صلى الله عليه وسلم : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) لكان كافياً في المقام .

ومن تلك المشاريع : الإصلاح بين الناس ، وسد ما بينهم من شقاق ، وواد الخلاف والنزاع ، وسد ثغرات الفرقة ، وجمع شمل المفترقين بكلمة صالحة ، وجهد مبارك ، وعمل دؤوب ، وقد قال الله تعالى مباركاً هذا المشروع وداعياً إليه همم الكبار " لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً " وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متمماً لذلك : " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَنْتَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ .

ومن تلك المشاريع : أن يكون الإنسان طبيباً نافعاً مباركاً في أمته ، ويتولى سد فرض من فروض الكفاية على المسلمين ، ويكفيهم أثر التولي عن هذه الوظائف التي لا تقوم مصالح المسلمين إلا بها فيقوم على رعاية المرضى ، ويتولى هموم الناس ومشكلاتهم الصحية والنفسية ، ويقوم على نشر ثقافة العلم الذي يحمله ، ويكون بذلك درعاً واقياً من الأمراض والأوبئة ، ويحيي في مجتمعه ووطنه وأمته مفهوم الصحة وأثرها في تحقيق الحياة الكريمة للناس (وينتسب إلى صفوف الدعاة مئات الأطباء ولكن خمسين منهم يمكن أن يكونوا من صنّاع الحياة حقاً... فإن الجراح يجري ألف عملية خلال عشر سنوات على الأقل ومع كل عملية يشكره أبناء المريض وأشقائه وأصدقائه وجيرانه ، فإذا كان نبهاً انتقى منهم عشرة فوطّد بهم علاقته ويظل يتصل بهم تلفونياً وبالمراسلة ويبارك أعيادهم ، ويعزيهم عند المصائب ويرسل لهم الكتب والأشرطة وهو خلال كل ذلك يؤدّن فيهم أن آمنوا ، وأن الإسلام حق ، وأن رجال الإسلام أختيار . ويعاونه سكرتارية نشطة وتقوم بتذكيره فيحصل بذلك على ولاء واحد على الأقل منهم حتى لو أهدرنا التسعة ، أي يقدم للدعوة ألف ولي خلال حياته الطبية الدعوية ، أي تحوز الدعوة خمسين ألفاً عبر أذان الأطباء الخمسين من صنّاع الحياة .. الراشد ، صناعة الحياة)

ومن تلك المشاريع : أن يكون الإنسان مهندساً جاداً في رسالته ، كبيراً في واقعه ، ويصنع قدوة صالحة في حمل فروض الكفايات عن المسلمين ، ويقوم على حوائج الناس ويبيّن مفاهيم العمران ، والحضارة الإسلامية . (والمهندس المعماري من أهم صنّاع الحياة فإن بعض عجينة النحل يكمن في سداسياتها ، ونصف جمال الحياة بين جناحي فراشة .. المدينة الجميلة جزء من الحياة .. الراشد ، صناعة الحياة)

ومن تلك المشاريع : مشروع التعليم ، وهو من أعظم مشاريع الأمة وأكثرها أثراً في الواقع .
وإذا صحت النية في مشروع كهذا نال به الإنسان خيري الدنيا والآخرة ، وحاجة الأمة إليه
أكثر من كل حاجة ، ولو وجدت الأمة اليوم من يقوم على هذا المشروع ويرعاه ويقوم
بواجبه كما أريد له لتغير وجه الأمة وعادات كما كانت في صدر الزمان .

ومن تلك المشاريع : مشروع التربية لأبناء المسلمين ، والعناية بتخريج أجيال تفهم هذا
الإسلام فهماً صحيحاً ، وتقوم بحقه في العالمين ، والمشاريع التربوية بالذات من أكثر
المشاريع أثراً في تقدم الأمة وصناعة مجدها ، وكتابة تاريخها ، وكل مشروع يقوم على بناء
هذا الإنسان ، ويصوغ مفاهيمه ، ويبني قيمه يأتي على آمال الأمة من أوسع الأبواب .

ومن تلك المشاريع : مشروع دعوة الجاليات ، وهو مشروع يزيد في مساحة هذا الدين
ويوسّع من أثره ، ويدفع به إلى آماله العراض ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً
أثر هذا المشروع على صاحبه : " لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " .
ومن تلك المشاريع : القيام على حفظ كتاب الله تعالى وفهمه وتدبره وتعميم أثره في
العالمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " وسواء نصّب
الإنسان نفسه لهذا المشروع بأن جلس لأبناء المسلمين معلماً لكتاب الله تعالى ، أو قام
على المشروع إدارة ومتابعة وإثراء فكل ذلك في عداد المشاريع .

وقد يكون مشروع الإنسان مشروعاً إعلامياً يتولى صياغة عقول الأمة ويبني مفاهيمها ،
ويصوغ قيمها من خلال برامج ومشروعات قيمة مؤثرة ، ويلعب هذا المشروع اليوم دوراً

خطيراً في واقع الأمة إيجاباً وسلباً ، وما لم يجد صنّاعاً لفكرته ، وكباراً في إدارة مشروعه وإلا خسرت الأمة من خلاله شيئاً كبيراً .

وقد يكون مشروع الإنسان ترجمة الكتب والمقالات والعلوم التي تفيد الإنسان في حياته العلمية أو العملية .

وقد يكون مشروع الإنسان بناء الأسرة المسلمة على منهج الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإعدادها حتى تكون قادرة على حمل رسالتها وتولي قضاياها بناء لها ودفاعاً عنها . على أنني أدرك أيها الكبير في همومك أن مثل هذه المشاريع مجرد أمثلة ، وأنت أعرف بما يخصك منها ، وما يناسب ميولك ، وما تأتي إليه نفسك ، وإياك أن تشارك في مشروع لا علاقة لك به ، ولا رابطة بينك وبينه . والخيار لك ، وأنت المسؤول الأول والأخير عن ذلك ، والخيارات كثيرة ومتنوعة ، وكل مشروع يمد في مساحة دينك يمكنك أن تعتنقه وتأتي على آمالك من خلاله .

إن الأبواب التي ندعوك إليها يا صاحبي كثيرة لا تكاد تُحصى وما سطرناه لك هنا سوى أمثلة (ونظرية صناعة الحياة لا تريد كلّ الدعاة فلاسفة أو شعراء وإنما هي مئة صناعة ومهنة وتخصص وفن ، وما نطن أحداً يقف بهذه الأبواب المئة يطرقها ثم لا يُفتح له باب يلج منه إلى دار الاجتهاد وركن الإبداع ، ونظريتنا بريئة من إرهاب أحد وإعناته وإحراجه ، بل دون الذكي الاختيار الحر يرسم لنفسه الدور الذي يشاء إذا شاء الله ، وكل الطرق تؤدي إلى القاهرة وصنعاء ، ويعقوب ما زال يوصي أبناءه : يا بني ادخلوا من أبواب متفرقة فقط يُراد لنا أن نثق بأنفسنا ... الراشد ، صناعة الحياة)

مواصفات المشروع

المشروع الذي يختاره الإنسان لنفسه ليكون مشروع عمره في الحياة لا بد أن يكون مستوفياً للمواصفات التي تمنحه وصف المشروع ، وترسم له وجوداً من خلال العمل والتضحية والبناء . ومجمل هذه الصفات أربع :

الصفة الأولى في المشروع : أن يكون مشروعاً يصل بين دنيا الإنسان وآخريته . وهذا هو الأصل في حياة المسلم ، ولم يكن بحاجة إلى بيان لولا هذه الفرقة التي يراها الإنسان في الواقع وقد أطربني ما قال محمد قطب في كتابه قبسات من الرسول حين قال : " أول ما يخطر على البال هو هذه العجيبية التي يميّز بها الإسلام أن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق ، إنهما ليسا طريقين منفصلين أحدهما للدنيا والآخرة ! وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك ، ويربط ما بين هذه وتلك ، ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة ، وطريق للدنيا اسمه العمل ! وإنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة ، وهو طريق لا يفترق فيه العمل عن العبادة ، ولا العبادة عن العمل ، كلاهما شيء واحد في نظر الإسلام ، وكلاهما يسير جنباً إلى جنب في هذا الطريق الواحد لا طريق سواه . اهـ إن المشروع الذي يتبناه الإنسان لنفسه لا بد أن يكون في حس صاحبه أولاً المشاركة والمساهمة على الأقل في بناء صرح الأمة الكبير ، وحين يخلو ذهن الإنسان من هذا المعنى فلا مفروح بعمل يقدمه ، ولا هدف يركض إليه ، ولا حياة يسعى في تحقيقها من أجل ذلك مهما بلغ ما يدفعه في ذلك من جهد وعمل .

الصفة الثانية : أن تكون محباً لمشروعك : ولا شيء يصنع الإبداع كالحب ! والأفكار التي نجبها بنتاجها بمشاعرنا ، ونصنع لها واقعاً من لا شيء ، وتعود في النهاية صرحاً شامخاً بعد إن كانت مجرد فكرة عابرة . إن الأعمال التي نجد لها واقعاً في نفوسنا ، ونقبل إليها ونحن نشعر أن بيننا وبينها صلة نهبها كل شيء ، ونشعر أنها تقتات من قلوبنا قبل أن نصرف عليها شيئاً من جهودنا وأموالنا . الحب وحده يصنع حكاية النجاح ، ويبيي لها سلام الرقي ، ويقرب لها مسافات النمو ، ويظل يسقيها بماء الأمل والفأل حتى يأتي منها في النهاية على كل شيء . وإذا أردت أن تصنع حكاية للاستمتاع في واقعك فانصب حياتك كلها لفكرة تعشقها ، ومشروع تحبه ، وقضية تعيش لها وأعدك أن تتحول تلك الصحاري المبسوطة في الواقع إلى مساحات شاسعة من الربيع .

الصفة الثالثة : أن يكون مشروعك الذي اخترته متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك : وهذه صفة غاية في الأهمية في نجاح مشروعك ، لا بد أن يكون هذا المشروع متوافقاً مع قدراتك وإمكاناتك ، وإياك أن تتقمص مشروعاً ليس لك ! أو تتبنى فكرة لا علاقة لك بها! أو يسوقك الآخرون إلى أفكارهم ، ومشاريعهم فتحسر وقتك ، وتفوت عليك فكرتك الأصل وتعود تبعاً لآخرين . وتبدأ رحلة خصام نكدة بينك وبين أفكارك التي تعيش لها ومن أجلها.

إن بعضاً من أصحاب المشاريع يدفعهم الفرح ببعض المشاريع التي يرونها في الواقع فيندفعون إلى تقليدها ، ومحاكاتها ، ويحاولون جاهدين في جعلها مشاريعهم وواقعهم ورحلتهم في الحياة ويفاجؤون في النهاية أنهم لم يصلوا إلى شيء ، ويعودون بعد فوات الزمن يبحثون عن الفكرة الضائعة ، والمشروع الصحيح ، وقد فات الأوان .

الصفة الرابعة : أن يكون مشروعك مشروعاً ممكناً في الواقع إنك حين تختار مشروعك ينبغي أن تختار مشروعاً قابلاً للتنفيذ ، وفي حيز الإمكان ، وبين يدي قدراتك وإمكاناتك فلا تختار مشروعاً لا يمكن أن يكون له واقع إما لكبر حجمه ، أو لعظمة إمكاناته ، أو لما يتطلبه من أدوات وأموال لا يمكن للإنسان بلوغها أو الوصول إليها إلا إذا كانت هذه المعاني كلها في قدرة الإنسان وإمكانه فذلك شيء آخر ، ولا يمنع الإنسان تبعات المشروع وتكاليفه من اختياره إذا كان يحبه وفي إمكانه .

على أنني أذكرك وأنت تقرأ هذه الصفات وتتأملها أنها متكاملة ، فلا يمكن أن تأخذ بعضها وتترك بعضها الآخر ، بل إن لم تتوافر هذه الصفات الأربع كلها في ذات المشروع الذي اخترته فلن تهناً بمشروعك الذي تحب ، ولن تصل إلى أمانيك التي تريد .

إضاءة :

كل الأفكار الجميلة إذا لم تقف من أرواح أصحابها فلن تجد مكاناً مناسباً ، وواقعاً تُدلى فيه بالثمار .

نصف شربة لن تروي ظمأك ، ونصف وجبة لن
تشبع جوعك ، ونصف الطريق لن يوصلك إلى
أي مكان ، ونصف فكرة لن تعطي لك نتيجة

(جبران خليل)

كيف تتعرّف على مشروعك ؟

(١)

هذا سؤال في غاية الأهمية ، حين تعلم قدر المشروع ، وأثره ، وأهميته في حياتك الشخصية ودوره المثير في مد مساحة واقعك ، وتتوق نفسك إلى عناق هذا الحلم ، وعيش هذه الحقيقة الكبرى ، وتبدأ رحلة البحث والأشواق إلى هذه الأمنية ، ويضنيك التفكير للوصول لذات الفكرة ، ويتردد في واقعك هذا السؤال : كيف أتعرّف على مشروعك ؟ يمكن حينها أن نبدأ وإياك قصة البحث عن هذه الحقيقة في الأسطر القادمة من هذا الكتاب ، فتعال معي إلى حيث أشواقك ! إلى لحظة عناق الغيث بأرض الربيع ، تعال إلى رحلة الأفكار الحية ، وقصص التاريخ المثيرة ، وأحداث الواقع الكبير ! هات يدك ، عفواً قبل ذلك هات مشاعرك ، وأشواقك فرحلة الأفكار ما لم تضخها المشاعر بقوة لاتصل في الغالب إلى نهاية الطريق . تعال معي أحدثك عن الفكرة الحية (مشروع العمر) وأريك كيف تعثر عليها ! وكيف تلقى مشاعرك حين تلقاها !

قلت لك سابقاً : مشروع العمر : مشروع تتضح في ذهنك أهدافه ، وتستولي فكرته على فكرك وعقلك، وتبذل له جميع طاقاتك . وإذا قرأت هذا التعريف قراءة ممعنة أدركت كيف تعثر على مشروعك ، وتصل إلى غايتك ، وتصل إلى أمانيك ! وإذا أردت أن تعثر على مشروعك فلا بد أن يكون في مشروعك الذي تختاره ثلاثة جوانب :

الأول : أن يكون هذا المشروع الذي تختاره مشروعاً واضحاً لك لا لبس فيه ، تعرف أهدافه ، وتدرك تفاصيله ، وتحدد مسافة الزمن التي سيقطعها من عمرك ، ومساحة الأرض

التي ستمشيها في سبيل الوصول إليه . من الضرورة يا صاحبي أن تكون أهداف مشروعك واضحة لا لبس فيها ، كالفجر حين يزيح ظلام الليل . وما تصنع بمشروع يخالطه الظلام فلا ترى صورته النهائية ، ولا تبين لك فيه مباحج الختام ! لو طلب منك عرضٌ أو تعريفٌ لمشروعك انطلقت تبينه للسائل كأنما تحكي قصة حياتك وأحلامك لا فرق . إذا لم تعرف تفاصيل مشروعك ، وأهدافه ، ونقطة النهاية فقد لا تبلغ أشواقك فيه !

الثاني : أن تستولي فكرة المشروع على فكرك وعقلك : أحدثك هنا عن الاستيلاء ، عن مشاعر الحب ، عن الشوق ، وإذا لم تجد ياصاحبي ولهاً في قلبك ، وشوقاً في مشاعرك ، وتنساق إليه بمجرد سماع ذكره ، وتقبل إليه إقبال الراغب للماء في يوم صائف بعد طول انتظار فلا مفروح به ! الاستيلاء الذي نتحدث عنه هنا معنى من الولاء يقوم في قلب صاحب المشروع فيدفع من أجل مشروعه وقته وفكره وماله ومشاعره دون مقابل ! الاستيلاء يمكنك من السهر لساعات متأخرة من أجل مشروعك ، وقيمتك من أحلى لحظات النوم لتعانق فيها أحلامك ، ويحملك على حزم حقائب السفر من أجل ذات الفكرة التي تعيش من أجلها ، ويجعلك تقرر العودة من أجله ولو كانت تكلفك كل شيء . حين تسافر من أجل تلك الفكرة ، وتقيم من أجلها ، وتستدين لها وترى كل ما تصنع لا يعينك في شيء فتلك اللحظة هي لحظة ميلاد مشروعك في الحياة . أتحدث هنا عن الاستيلاء الذي جعل الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى حين أشكلت عليه مسألة علمية لم يزل في بحثها من الظهر إلى ضحى اليوم الثاني ، وهو ذات الشغف الذي لازم الألباني رحمه الله تعالى فوقف على سلام مكتبته في باكر يوم يطالع كتاباً فلم يرعه إلا أذان الجامع لصلاة الظهر .

حين يستغرق بك التفكير في مشروعك ، وتستثمر كل لحظة للتعرف عليه ، ويثور فيك الشوق عند لقائه أو الحديث عنه فتلك من أبلغ دلائل الاستيلاء التي نتحدث عنها في هذه اللحظة . الاستيلاء لا يمكنك من الانتظار ، بل يسوقك الشوق إلى اللقاء ، ومن أعظم دلائله كثرة الحديث عن مشروعك ، وسؤالك عن النجاح فيه ، وإلحاحك في التعرف على وسائل جديدة لبلوغ غاياته والوصول إلى أمانيك فيه .

مشروعك لا يمكن أن يولد في نفسك إلا في اللحظة التي تجد فيها عملاً تنساق له دون شعور ، وتلهث وراءه دون تفكير ، وتخطو خلفه دون تأمل .. هذه اللحظة هي اللحظة التي يمكن أن نبارك لك فيها وجود مشروعك الشخصي .

فإن سألت في هذه المرحلة : هل يجد صاحب المشروع هذه المعاني من أول وهلة ؟ وهل يلقاها في بداية الطريق ؟ فأقول لك : لا ، ليس بالضرورة ، بل الأصل أنها تنمو مع المشروع ، وكلما دفعت من وقتك لمشروعك كلما نمت وتمددت في حياتك . لا شيء يتمكن من قلبك إلا بعد طول تفكير ! الفكرة الحية يا صاحبي كالحب لا فرق ! كلما منحتها تفكيرك وأفضت لها بمشاعرك ومكنتها من وقتك زادت مساحة الاهتمام بها وتمكنت من الاستيلاء وانداحت لها المشاعر والأفكار .

الثالث : أن تبذل له جميع أوقاتك . . فإذا وجدت عملاً من الأعمال في أي مجال وكنت مستعداً تلك اللحظة أن تبذل فيه جميع أوقاتك ، وتشعر بمتعة وراحة في ذلك الوقت فهذه من دلائل عثورك على فكرتك الحية . . إن أوقاتنا لا يمكن أن تبذل بسخاء إلا في عمل نحبه ونجد في دقائقه المتعة والراحة ، وحين نجد ذلك العمل وتمر بنا تلك اللحظات فهي الدليل البين على العثور عن ما نبحث عنه من سنوات . حين تكون مستعداً للتضحية من

أجل مشروعك بكل ما تملك ، تعطيه مشاعرك في التفكير وجهدك في النظر ، وحياتك في التأمل ، ثم تصرف له وقتك كله ، وتمنحه دقائق عمرك ولحظات حياتك ، وترى أن كل ذلك أرخص ما يكون عندك وألذ دقائق عمرك فهذه عندي أصدق بينة على أنك عثرت على مشروعك ، وبدأت رحلة الهوى التي يبحث عنها السائلون عن هذا المعنى الكبير .

إذا وجدت عملاً بهذه المواصفات الثلاث ، فقد وجدت مشروعك العمري ، وعثرت على فكرتك الحية ، ولقيت أمنيته الكبرى ، وبدأت رحلة أشواقك في عالم الحياة من جديد وخلفت وراءك جماهير كثيرة ما زالت تبحث عن ذات الفكرة ، وتلهث وراء آماني المشاريع.

إن هذه الجوانب الثلاثة قد تكون كافية في التعرّف على مستقبلك ، ومشروعك في الحياة ، فإن وصلت إلى مشروعك من خلالها فأبارك لك ميلادك الحقيقي ، وأبارك لأمتك بدايتك الحقيقية في العمل والبناء والتضحيات . وإن لم تصل لمشروعك ، ولم تهتد إليه مع كل ما ذكرت إليك فتعال معي إلى الخطوة الثانية لعلها تهديك إن شاء الله تعالى إلى أحلام عمرك وأمانيك الكبار .

إضاءة :

ستصل ما دمت موقناً أن حلمك الكبير في نهاية الطريق .

كيف تتعرف على مشروعك ؟

(٢)

إن اختيار مشروع حياتك قرار في غاية الأهمية ، وهو من أصعب القرارات التي تتخذها في عمرك كله لأنك ستعيش بهذه الفكرة ما بقي من حياتك . اختر مشروعاً ستعيش معه ما بقي من عمرك ! عليك أن تومن أن حسن اختيارك لمشروعك في البداية هو الكفيل بأن تعيش مستمتعاً في حياتك ، مثيراً في واقعك ، كبيراً في أملك وتحدياتك .

إنني أدعوك في هذه اللحظة للعزلة ، سافر إلى مكان تجد فيه متعتك ، وتشعر فيه بالاستقرار . اجث عن مساحة من الأرض تجد فيها الهدوء ، وتلقى فيها الراحة ، وتخلص من جوالك حتى لا تتعرض في أخرج لحظة من عمرك لقرار تندم عليه طيلة حياتك القادمة.

إذا وجدت هذا الفراغ ، وهذه اللحظات من زمنك ، وتلك الفرصة الشعورية في ذهنك فدوّن هذه الأسئلة في دفتر خاص ثم أجب على كل سؤال منها :

السؤال الأول : ما اهتماماتك في الحياة ؟

.....

.....

.....

السؤال الثاني : ما الأعمال التي تستمتع بها في حياتك ؟

.....

.....

.....

السؤال الثالث : من الأشخاص الذين أُعجبت بهم في حياتك ؟

.....

.....

.....

السؤال الرابع : لماذا أُعجبت بهم دون غيرهم ؟

.....

.....

.....

السؤال الخامس : ما أسعد لحظات حياتك ؟

.....

.....

.....

السؤال السادس : ما أهم ثلاثة أمور في حياتك ؟

.....

.....

.....

السؤال السابع : ما أهم أعمالك التي تقوم بها يومياً ؟

.....

.....

.....

السؤال الثامن : ما أهم ثلاثة أمور في حياتك على الإطلاق ؟

.....

.....

.....

السؤال التاسع : لو خيَّرت بين أعمالك اليومية ما العمل الذي لن تتخلى عنه ؟

.....

.....

.....

السؤال العاشر : ما أهم نقاط قوتك ؟

.....

.....

.....

السؤال الحادي عشر : ما مهاراتك ومواهبك التي تمتلكها ؟

.....

.....

.....

السؤال الثاني عشر : ما الأمنية التي تهتف بقلبك كل لحظة ؟

.....

.....

.....

السؤال الثالث عشر : لو دعيت إلى مكتبة أو معرض ما الركن الذي يستحوذ على وقتك ؟

.....

.....

.....

السؤال الرابع عشر : لو فتح لك موقع على النت أو مدونة ما ذا ستكتب فيها ؟

.....

.....

.....

السؤال الخامس عشر : لو اتصل بك صديق لتقدم له برنامجاً تدريبياً أو تلقي له موضوعاً
ففي أي مجال ستتحدث ؟

.....

.....

.....

السؤال السادس عشر : ما ذا تريد أن تكون بعد عشرين سنة قادمة من حياتك ؟

.....

.....

.....

السؤال السابع عشر : ما المجال الذي تود أن تعرف به بين الناس وتتميّز به في حياتك ؟

.....

السؤال الثامن عشر : في آخر اللحظات من عمرك .. اكتب عن مشروعك الذي تتركه
قائماً بعد موتك ؟

.....

.....

.....

قد تأخذ منك هذه الأسئلة يوماً واحداً ، وقد تأخذ منك أسبوعاً كاملاً ، وقد تزيد على ذلك فتصل إلى شهر ، وقد تمتد إلى أكثر من ذلك لأنها أسئلة تحدد رحلتك في الأرض وتعينك على العثور على أعظم الأفكار أثراً في الحياة ، وتكشف لك أوسع المتع في واقعك (مشروع العمر) ، وتكتب ميلاد حياتك من جديد . حين تنتهي من الإجابة عليها أعد التأمل فيها من جديد ، خذ جولة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وعاشرة فالفكرة حقيقة بكل ما يُبذل في سبيلها . فإن عثرت منها على مشروعك الشخصي فتلك الأحلام الغائبة عثرت عليها ، وتلك الآمال التي تبحث عنها وصلت إليها ، فإن لم يكن ، ولم تلق بعد فكرتك الغائبة ، وأحلامك الضائعة فتعال معي إلى خطوة أخرى في ذات الطريق فلعلك تأتي منها إلى آمالك التي تبحث عنها وأشواقك التي تود عناق نهاياتها .

كيف تتعرّف على مشروعك ؟

(٣)

إنني أعذك في هذا التحير الملازم لك ، وأقدّر لك ترددك الكبير في اختيار مشروعك العمري فذلك قرار كبير خطير يستحق هذا القلق ، ويحتاج إلى أطول مما منحه بكثير أدعوك هذه اللحظة إلى اكتشاف نفسك من جديد ، تعرّف على قدراتك ، وإمكاناتك ، خذ جولة على مواهبك فقد تعثر على أكثر الحقائق وأعمقها أثراً في حياتك !

إن مشكلتنا أننا نغفل عن اكتشاف مقدراتنا الكبرى ، ونتغافل عن كنوز في نفوسنا لا تحتاج سوى التركيز . ما أحوجنا إلى بعث مقدراتنا ، اكتشاف طاقاتنا ، البحث عن الكنوز المدفونة في عالمنا الكبير .

يمكن أن يكون هذا البحث ذاتياً ، ويمكن أن يستعين فيه الباحث ببعض المراكز المتخصصة التي تعينك على اكتشاف تلك القدرات المكنونة في نفسك ، وتفتح لك نافذة على أغوار نفسك ، وتجليات روحك .

إن لم تصل ، أو تعثر البحث ، أو لم تستطع الوصول إلى ما ذكرت فخذ قلمك ، ودون الأعمال والمشاريع التي تمارسها أو تحبها وتجدر رغبة في المشاركة فيها ، سجّلها على ورقة ، ثم علقها على جدار منزلك أو ضعها على سطح مكتبك أو على شاشة حاسبك الشخصي أو حتى في غرفة نومك ، المهم أن تكون تلك المشاريع تحت نظرك تأخذ من وقتك ، وتذكّر بهمومك ، وتقرب لك مسافات تلك الأماني . تأمل تلك المشاريع المكتوبة ، وأعد النظر إليها ، وقلّب البصر فيها لترى أين تجدد قلبك ، ومشاعرك ، ورواء روحك !

ما المشروع الذي تنزع إليه روحك أكثر من غيره ! ما المشروع الذي يستحوذ على قلبك ،
ويثير فيك الفضول ؟ قد قالوا يا صاحبي : شخص واحد لديه شغف أفضل من تسعة
وتسعين شخصاً لا يملكون سوى الاهتمام . إنك حين تعرضها أمام نظرك كما تفعل الآن ،
لا تبقي خيارات مفتوحة في عقلك ، وإنما تحصر عقلك ونظرك في هذه المشاريع بالذات ،
وهذا يعطيك فرصة المقارنة والاختيار .

حاول أن تحاصر فكرك ومشاعرك بجملة من الأسئلة : ما الشيء الذي أتميز به ، وأشعر فيه
بالثقة ، وأعرف أنني أقوى فيه من غيري ؟ سل نفسك : ما الأشياء التي تلقي فيها ثناءً
عاطراً ممن حولك؟ فيم يعتمد عليك الأصدقاء والزملاء والمقربون ؟ ما المجال الذي يأسرك ،
والفن الذي تجد فيه نفسك؟ والتخصص الذي ترى فيه رواء روحك ومشاعرك ؟ يا صاحبي
الأطفال لا ينامون ليلة العيد! ما الفكرة والمشروع والعمل الذي إذا بدأت فيه أصبحت
كالأطفال الذين لا ينامون ليلة العيد ! هل يمكن أن تتعرف على الأشياء التي تثير فضولك
؟ لو طلب منك المشاركة في مناسبة ما الفن ، والتخصص ، والمجال الذي ستشارك فيه ؟
سل نفسك ما أكثر الأشياء يهملك ، ويلفت نظرك ، ويبعث الشوق في قلبك ؟ ثمة أشياء
تستحوذ على همك أكثر من غيرها تعرف عليها فقد تكون هي القصة التي تنتظرك لقراءة
فصولها ! أرأيت من يريد أن يشتري سيارة أو يبني بيتاًكم يأخذ منه البحث والسؤال ، وكم
تستغرق منه من أوقات ! أليس من الغبن في حياتنا أن يستحوذ مركوبٌ أو مسكونٌ من
السؤال والبحث أكثر من استعمار أكثر الأفكار أثراً في حياتنا ! فإن وجدت ما تريد ،
وتحقق لك ذلك الحلم فتلك الفرص التي تحتاج إلى شكر فبارك لك لقاء تلك الأمنية ،
ونهنئك بمستقبل العمل والبناء والتحديات ! فإن لم تصل ، ولم تعثر بعد على مشروعك فلا

تأس وكن معي فيما بقي من أسطر هذا الكتاب ، ولا تقلق ، فالأفكار الحية مكلفة ،
ومجهد ، وتحمل عناء في سبيل الوصول إليها ، وبقي مساحات أرجو أن يكون فيها ما
يعينك على الوصول إلى أمانيك .

كيف تتعرّف على مشروعك ؟

(٤)

أعرف أرقك ، وأقدّر فيك هذا البحث للقاء أمنيّتك ، وأشكر لك هذا النفس الطويل في سبيل عناق الأفكار الحية . وأقول لك : يمكنك أن تعثر على مشروعك من خلال الآخرين سواء كانوا معلمين أو أصدقاء أو زملاء ، وفي التاريخ نماذج عثروا على مشاريعهم من خلال الآخرين ، فهذا البخاري صاحب الصحيح رحمه الله تعالى عثر على مشروعه من خلال مشورة ونصيحة وفكرة قالها شيخه في لقاء قال : لو تفرّغ أحد لكتابة صحيح السنة فتلقّف هذه الفكرة ، وصنع منها أضخم مشروع في الأرض (صحيح البخاري) ومثله الذهبي رحمه الله تعالى رأى شيخه خطه فقال له : إن خطك يشبه خط المحدثين فثارت في قلبه وفكره وبني من خلالها مشروعه الكبير . وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : مررت يوماً على الشّعبيّ وهو جالس فدعاني وقال : إلامَ تختلف ؟ فقلت : اختلف إلى فلان ؛ قال : لم أعن إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء ؟ فقلت له : أنا قليل الاختلاف إليهم ، فقال : لا تفعل ، وعليك بالنظر في العلم ، ومجالسة العلماء ؛ فإنني أرى فيك يقظة وحركة . قال : فوق في قلبي من قوله فتركت الاختلاف - أي إلى السوق - وأخذت في العلم فنفعني الله تعالى بقوله . اهـ ومثل ذلك الشافعي رحمه الله تعالى فقد حكى تحوله من الشعر والأدب للفقّه فقال : كنت امرأً أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعر لبيد فضرني رجل من ورائي من الحُجبة فقال : رجل من قريش ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون معلماً !! ما الشعر ؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلماً .. تفقه يُعلِّك الله . قال : فنفعني الله بكلام ذلك

الحجبي ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب . اهـ . وجاء الألباني رحمه الله تعالى بعد ذلك ليقول لنا : إن الفكرة إذا استعمرت صاحبها وجد لها فضاء في أحلك الظروف وأضيق المساحات . كان في بداية حياته يصلح الساعات في مساحة لا تتجاوز المترين لكنه لما كان شغوفاً بفكرة ، وباحثاً عن مشروع لم تمنعه ظروفه البائسة من البحث عن الفكرة المفقودة في حياته وحين وقعت في يده مجلة وقعت في يده الفكرة الغائبة ورأى من خلالها تحقيق العراقي لإحياء علوم الدين للغزالي ، واستولت عليه تلك الأحرف (صححه البخاري ، وحسنه الترمذي ، وضعفه ابن المديني) فترك ما في يده ، وتحول من صانع ساعات إلى صانع عقول ، ومن مساحة المترين إلى كل شبر من الأرض ، ولم يرحل حتى جعل من مشروعه ذكريات ستظل إلى قيام الساعة . فقط أردت أن أقول لك حلمك يصنع الحقيقة ، ورغبتك تقرب المسافات ، وجديتك تعلو فوق كل شيء . حين تكون جاداً في البحث ستلقى فكرتك الحية ، وستعثر على مشروعك الكبير .

شاور من تعرف من زملائك ممن تثق فيه وتعرف قدرته على حسن الاختيار ، وكلما كان من تشاوره أعرف بقدراتك وألصق بك ، وأعرف بفكرة المشروع كان أقرب وألصق بالفكرة وأهدى من غيره إلى الصواب .

قابل من تثق به من المديرين ، والمستشارين من أهل الثقة والخبرة والمراس والعلم والعمل والقدرة على حسن الاختيار ، حاول أن تلتقي أصحاب المشاريع الذين لهم تجربة ونجاح ملموس في نجاح المشروعات فقد تجد من خلال تلك اللقاءات ما يفتح لك الطريق . فإن عثرت على مشروعك وحلمك وأمنيتك وفكرتك الحية فذاك وإلا فتعال معي إلى آخر خطوة في الطريق لعلك تلقي ما بقي فيها من أمل .

كيف تتعرّف على مشروعك

(٥)

رائع ومثير هذا التصميم على الوصول إلى مشروعك ! يعجبني فيك هذا الإصرار ومثلك بإذن الله تعالى أقرب إلى تحقيق مراده وعناق فكرته . يمكنك الوصول إلى فكرتك ومشروعك من خلال البحث في المشاريع التي تحتاجها الأمة ، لا أعني أن تذهب تسد ثغرة في الأمة وحاجة لا تناسبك ولا توافق ميولك ، كلا ، وإنما أريدك أن تتأمل في المشاريع لتختار منها ما يناسب ميولك ويبحث مباحج الحياة في قلبك . قلت ذلك لأن كثيرين يريدون نماذج وأمثلة تساعد في العثور ، وتعينهم على التطبيق .

اقرأ سير الكبار والمؤثرين وصنّاع النجاح ، وكتاب التاريخ لترى مشاريعهم وأفكارهم التي عاشوا من أجلها ، وضحووا في سبيلها لعلك تعثر على أميتك وتلقى فكرتك ، وإذا كان البخاري عثر على مشروعه من خلال كلمة عارضة فلعلك تلقى مشروعك من خلال سيرة مثيرة .

بقي أن أقول لك أوصيك أن تنطرح بين يدي الله تعالى ، وتدمن دعائه ، وتطيل الوقوف بين يديه ، وتختر له ذليلاً حقيراً لا تملك خياراً لنفسك إلا بعد توفيقه وهدايته لك .

تخيّر في دعائك أوقات الإجابة من السحر ، وساعة الجمعة ، ولحظات السجود ، والخلوات وليكن ذلك كله مع حسن رجاء وتوكل وصدق وإقبال . وكم من غائب قرّبه الدعاء ! وكم من أمنية أحالها واقعاً بعد طول انتظار ! .

استخر ربك تعالى ، فإن رأيت بوارق توفيق ، أو وجدت أحلامك التي تريد ، وشعرت بصفاء روحك ، ورضاها بما عرض لها فهنيئاً ، وإلا كرر هذه الاستخارة ، وإذا حسن إقبالك قرب مطلوبك وتيسر لك ما تريد . فقط كن جاداً في الطريق ، صلباً أمام العقبات ولا تستطل طريق أمنيتك فالأفكار الحية تحتاج إلى طول أمل . ولا تقف متلفتاً في الطريق ، قاعداً منتظراً أن يفتح الله تعالى لك في مشروع ، بل اعمل ، وقدم لنفسك ، ووسّع أثرك ، ومد في مساحة دينك في أي مجال تراه أقرب لنفسك ، واسعى في ذات الوقت للبحث عن فكرتك الحية ، ومشروعك الكبير . وإن لقيت مشروعك بعد هذا البحث ، وعثرت على فكرتك الحية فلا أقل من أن تبلغني لأفرح مثلك فعثورك على مشروعك هو في ذات الوقت عثوري أنا على ذات المشروع!

فأهلاً بك يا صاحبي في عالم الكبار ، أهلاً بك ضمن صنّاع النجاح في الواقع ، أهلاً بك وبفكرتك الحية وبمشروعك الكبير فما أسعد أمتك بك هذه اللحظة ! وما أبهج مستقبلها بأمثالك !

وإذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يبني عليه اجتهاده

رسالة

لا تقف على حافة الطريق تتسوّل المارة مَقْعَدًا
للركوب ، بل تقدّم إلى وسطه لتختار مكانك الذي
تريد .

تعدد المشاريع

إن وجود المشروع في حياة أي إنسان هو أعظم الأدلة التي نرى من خلالها قدرة ذلك الإنسان على المشاركة في عالم الكبار ، والقدرة على تحويل المثال إلى واقع . ولن تجد إنساناً يعيش مشروعه ، ويجهد في بنائه ، ويسعى في تحقيق غاياته إلا أدركت أنك أمام كبير .

إن فكرة المشروع في أساسها فكرة لا تقوم جذلة قوية متينة إلا في حياة إنسان متين في الإرادة والقدرة والمبادرة وروح المسؤولية بالدرجة التي مكنته من خوض الواقع بقوة وسلطته على استثمار لحظات حياته بأمتن ما يكون .

فإذا كان المشروع على عظمة ذكره وأثر واقعه وكثرة متطلباته لم يكن مقنعاً لإنسان أن يكون هو الوحيد في حياته ، وتطلّع بشوق إلى مشروع آخر أو مشاريع أخرى يسد بها طاقاته ، ويستثمر بها لحظاته ، ويكتب بها تاريخه كونه أكبر من حجم المشروع الواحد فإن الأمة تبارك له هذه التطلعات ، وتدعوه أن يوسّع مساحة أثره ، ويكتب حظ أمته بأكثر من مشروع ، على أن يفقه أن تلك الأمنية معلقة بشرطين :

الأول : أن تكون قدراته وطاقاته وإمكاناته قابلة لذلك ، وتحتل أكثر من مشروع . فإذا كان يملك هذه الطاقات ، ولديه المساحة الكافية لتحقيق مساحة أوسع ويمكنه أن يمد في أثر واقعه وأمته إلى الأفضل فإن التحجير عليه وحصره في مشروع واحد هدر لهذه الجهود ، وتضييع لهذه القدرات ، وتفويت مصالح ذاتية وجماعية .

الثاني : أن لا يؤثر كل مشروع على الآخر : فإذا تمكن إنسان من كل مشروع بالقدر الكافي لإقامته ، فلا مانع أن يخلق بجهد وعزيمته في بناء مشروع آخر . بشرط ألا تكون هذه المشاريع فيما بعد مجرد مسميات تتقاسم وقته ، وتُخاصم توجهه ، وتنازع وحدته فلا يستوثق منها مشروعاً واحداً ، فلا هو الذي أقام مشروعاً وكياناً ومثالاً صالحاً للاقتداء ولا هو الذي تفرغ لمشروع واحد يأتي منه على كل تلك الآمال .

وثمة أمثلة كانت صالحة لحمل مشاريع متعددة ، وتمكنت من توسيع أثرها ، وعانقت أماني أمتها وجاوزت تحديات واقعها ، من هذه الأمثلة : عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى كان مشروعاً في العلم ، والجهاد ، والصدقة ، والعبادة ، قال الذهبي : واجتمع جماعة من أهل الفضل يعدون خصاله رحمه الله تعالى فقالوا : العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والفصاحة ، والشعر ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزو ، والشجاعة ، والفروسية ، والقوة ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، والإنصاف ، وقلة الخلاف على أصحابه . اهـ ولذلك قال سفيان رحمه الله تعالى : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك فما أقدر ولا ثلاثة أيام . اهـ

ومثله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد كان مثلاً مثيراً على تنوع المشاريع الكبرى ، فقد كان عالماً ، وعابداً ، وزاهداً ، ومجاهداً ، وأمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، وراداً على أعداء الدين ، وكان في كل هذه المشاريع مثلاً حياً للاقتداء .

ومثله العلم ابن باز رحمه الله تعالى ، فقد كان مشاريع ضخمة ، فقد كان عالماً بالحديث ، ومفتياً للعامة والخاصة ، وعابداً متميزاً ، وقائماً بجوانح الناس ، وعلى مدار تسعين عاماً لم يتوقف له مشروع . فإذا كنت مثل هؤلاء ، وتشعر أن لديك طاقات ومواهب متعددة ،

وقدرات فائقة فإن في حصرك في مشروع إماتة هذه القدرات ، وتحجير هذه القوى وتعطيل
لمساحات مبهجة من العمل فلك أن تبدأ رحلة المشاريع التي تحبها ولو كانت متعددة ،
ولعلك تأتي من خلالها إلى آمالك ، وأماني أمتك .

تغيير المشروع

الأصل أن مشروع الإنسان هو ما استولى على فكره وعقله من البداية ، وحل حبه بقلبه ، ووجد لذته واستمتع بدقائقه كل لحظة ، هذا هو الأصل في مشروع العمر ، وإذا كان كذلك وجد له صاحبه لذة في قلبه ، ولقي له هتافاً كبيراً في مشاعره ، واستحوذ على وقته واستفرغ فيه كل إمكانياته ، وبحث عن أفضل الأوقات التي يتم بها مشروعه ، ويتوسّع المشروع وتتوسّع اللذات في قلبه .

فإن بدأ في مشروعه ، وقضى فيه وقتاً طويلاً ، ولم يجد فيه تلك المتع التي يتحدث عنها أصحاب المشاريع ، وصار يجاهد نفسه على فكرة عصية عن التطبيق ، ولم يجد لها رواءً في حياته ، ويشعر بخصام نكد بين ميوله ومواهبه ومشروعه الذي يخوضه ، وتؤكد أن ثمة خطأ حدث في الاختيار الأول ، وقدراته عاجزة عن استيعاب المشروع ، ولم يكن قرار الانتقال تقليداً لآخرين ، أو استعجالاً للنتائج فله حينئذ أن يترك مشروعه وينفصل عنه ، ويبدأ رحلة البحث عن مشروع جديد يتوافق مع ميوله ويتناسب مع قدراته وإمكانياته بشرط أن تجري تلك المعاني التي ذكرت فيما سبق بشأن اختيار المشروع كاملة ، ويتحرى الإنسان فيها قدر وسعه حتى لا يصبح شتاتاً وحقل تجارب وتضيع حياته في التردد وتهدر أوقاته وهو لم يصل بعد إلى فكرته ومشروعه .

إن الخطأ وارد ، وكم من خسارة بنتها العجلة ، أو عدم الدقة في الاختيار ، أو مشورة لا معرفة لها بواقعا الشخصي ، فكونت هذا الواقع ، فتكون المكابرة حينئذ على ذات المشروع خسارة إضافية . وكم من إنسان اختار مشروعه وسعى إليه بكل ما يملك وبذل لنجاحه كل الوسائل الممكنة ثم قرر في النهاية تركه والبحث عن مشروع يمثل عمقاً في حياته وبدأ

رحلته الجديدة ويشعر باستمتاع ورضى ويجد لذة وسروراً ويرى أن قرار التغيير كان حلاً لمشكلته ، وسبباً مثيراً في نجاحه . وهذا كله كما قلت لك بعد بذل الأسباب ، واتخاذ كافة الحلول المواتية لنجاح المشروع الأول ، وعدم الاستسلام لعقبات الطريق .

إن علينا أن نستमित في مشاريعنا التي جهدنا في اختيارها أولاً ، وتعبننا عليها ، وألاً نستسلم لعوارض الطريق مهما بلغت ، وأن ندرك أن أفكارنا التي آمننا بها تحتاج ولاءً كبيراً يمكننا من الفرح بها ، والدفاع عنها حتى تصلب وتكون واقعاً . ما لم نتأكد أن بداية الطريق غير صحيحة ، وثمة خطأً بيّن في القرار الأول فالأمر واسع ، والفرص متاحة ، والإرادة تقرب البعيد ، وتبني من حلم وأمنية واقعاً مثيراً مع مرور الأيام .

المشاريع الفردية والجماعية

بعد كل هذا الطرح لعلك تسأل : هل مشروع الإنسان لا بد أن يكون مشروعاً فردياً هو الذي يقيمه ويتولاه بالسقيا والمتابعة وهو صاحبه في كل لحظاته ! أو يمكن أن يكون مشروعاً جماعياً ضمن فريق ، كأن يكون شريكاً في مشروع جمعيات أو مؤسسات تربوية أو اجتماعية أو دعوية ، أو علمية أو تقنية ونحو ذلك ؟

فيقال : قد يكون مشروع الإنسان مشروعاً فردياً هو الذي يضع أهدافه ويقوم على رعايته ، ويتولاه في كل لحظاته حتى يقوم ويثمر ويقوى عوده ، ويكتمل بناؤه ، وحينئذ يكون الإنسان قد أقام مشروعاً كبيراً ، وقدم لأتمته ما تتمناه منه من خلال تلك الجهود المتكاملة التي كوّنت لبنة المشروع في البداية ورعته حتى أثمر ووصل إلى النهاية .

وقد يكون مشروع الإنسان مشروعاً جماعياً كالعمل في مؤسسة تربوية أو علمية أو اجتماعية ، أو تقنية يديرها أفراد على أن يجري في هذا المشروع الصفات التي ذكرت في مواصفات المشروع والتي من أهمها : أن تكون محباً لمشروعك شغوفاً به ، وأن يتوافق مع قدراتك وإمكاناتك .

فإذا كان العمل الذي تديره في مؤسسة تشعر بأهميته ، وقوته ، وأثره في رسالة المؤسسة ، بحيث يُعد دخولك وخروجك مؤثراً في أداء هذه المؤسسة ، ويستهبك هذا العمل فتجد له مساحة في قلبك ومشاعرك ، وتسايرك اللذة في أوقات العمل وتسيطر عليك ، وتشعر أنك جزء لا يتجزأ من منظومة العمل ، ويستفرغ طاقاتك كلها أو جلها ، وتشعر المؤسسة في النهاية أنها تقوم بك عضواً مؤثراً صاحب مشروع كما تقوم بالرئيس المسؤول الأكبر في

المشروع فأنت تقوم بمشروع ولو كنت منضوياً في مجموعة يساعد بعضكم بعضاً في اكتمال المشروع وقيامه بأدواره التي أنشئ من أجلها . بل إن حاجة الأمة كبيرة جداً للمشاريع الجماعية ، ولا يتصور أن تؤدي رسالتها ، وتقوم بفروضها الكفائية إلا من خلال هذه المؤسسات . وأمم الأرض اليوم تعيش عصر التكتلات في كل شيء وتستعين على بلوغ غاياتها من خلال الاجتماع . ومن وعى هذه المسؤوليات وأدرك خطورة دوره وأثره شارك في بناء هذه المؤسسات من خلال مشروع ، وبذل له من جهده وطاقته ووقته ما يكون كفيلاً بنجاحها وتحقيقها لأهدافها التي جاءت لتحقيقها .

أعاذلتي على إتعب نفسي ... ورعيي في الدجى

روض السهاد

إذا شام الفتى برق المعالي ... فأهون فانت طيب

الرقـاد

كيف تبدأ مشروعك ؟

مبروك ! لعلك وصلت إلى حلمك وأمنيتك الكبرى وفكرتك الحية ومشروعك في الحياة !
يا لها من لحظات ممتعة تلك التي يجد فيها الإنسان ضالته التي يبحث عنها بعد طول زمان .
بتحديدك لمشروعك قطعت ثلثي مسافة الطريق ولم يبق عليك سوى الثلث الأخير ،
ولعلك تسأل الآن كيف أبدأ ؟ ومن أين ؟ وماذا أفعل في بداية الطريق ؟ وما أول خطوة
في المشروع ؟ وكيف يصبح مشروعني واقعاً ؟ ولعلي أعينك هنا ببعض وسائل الطريق التي
تعينك على الوصول :

التخطيط لمشروعك : أول الخطوات التي تضمن لك بعد توفيق الله تعالى أن يكون
مشروعك واقعاً عملياً بعد أن كان معرفة نظرية .. ويكون التخطيط فاعلاً ومؤثراً حين
ينطلق من المرتكزات التالية :

أولاً : حدد رؤيتك : ضع الصورة النهائية لمشروعك .. ما ذا تريد أن تكون في النهاية ؟
ما الغاية الكبرى من مشروعك ؟ ما نقطة النهاية التي ترسمها لمشروعك ؟

خذ ورقة أو افتح حاسوبك الشخصي واكتب هذه العبارة :

بعد عشر سنوات من الآن ستكون نتائج مشروعني كما يلي :

.....
.....
.....

أعد قراءة هذه النهاية ، تأملها ، كرر قراءتها ، قلبها في مشاعرك مرات ، حاول أن تمنحها فكرك ووقتك ، قد تحتاج منك إلى تعديل أو تغيير أو اختصار أو تفصيل ، افعل فيها ما تشاء .. المهم في النهاية أن ترسم الصورة النهائية لمشروعك ، وأحلامك لعشر سنوات قادمة من بداية المشروع .

إذا وصلت إلى تصوّر الرؤية النهائية فاكتبها ثم احفظها في حاسوبك الشخصي ، أو في مكتبك ، ضعها قريبة منك ، تستطيع أن تراها حتى تضمن السير على ذات الطريق .

ثانياً : حدد وضعك الحالي الذي وصلت إليه في مشروعك : أين أنت هذه اللحظة من ذات المشروع ؟ من الضرورة أن تعرف الآن هل أنت في بداية المشروع ؟ أو قد بدأت في خطواته الأولى ؟ معرفة نقطة البداية ضرورة حتى تعرف كم تحتاج من خطوات للنهاية ! ومن أين ستبدأ ! ومتى ستصل !

أنت بحاجة في هذه النقطة أن تسأل نفسك : كم يحتاج منك مشروعك من الوقت ؟ كم مقدار الوقت اليومي الذي يقوم به المشروع ؟ هل البيئة التي أنت فيها مناسبة لنجاح المشروع ، أو لا بد من الانتقال إلى بيئة أخرى ! أو يمكن التغلب على ظروف البيئة من خلال وسائل أخرى !

إن تحديد وضعك الحالي بالغ الأهمية في نجاح مشروعك في المستقبل ، وحين تخطئ تحديد وضعك ، أو لا ترسمه بدقة ، أو لا تعطيه عناية كبيرة قد يختل تخطيطك كله ، ويضيع مشروعك في النهاية دون جدوى .

ثالثاً : ارسم أهدافك بدقة :

إن أهم ما في عملية التخطيط أن ترسم أهداف المشروع بشكل واضح بحيث يتحرك المشروع كل يوم ، من خلال منهج واضح ، وزمن محدد ، وإلا صار المشروع فارغاً من حقيقته كمشروع .

سبق فيما مضى أنك وضعت رؤيتك النهائية لمشروعك ، وأين ستصل فيه ! وماذا تريد أن تكون بعد عشر سنوات قادمة من عمرك ! فلا يلتبس عليك الأمر وتمتج عليك الرؤية بالأهداف ، لأن الرؤية شيء عام ترسم نهايتك الكبرى لمشروعك ، والأهداف هي الخطوات التي توصلك لعناق تلك الرؤية . . وهذه مسألة دقيقة ينبغي ألا تفوتك ، لأن كثيراً من أصحاب المشاريع يخلطون بين الرؤية والأهداف فيرونها شيئاً واحداً ، وهي تختلف فالثانية وسيلة للأولى .

اكتب أهدافك التي تحقق لك رؤيتك ، بحيث ترسم أهداف العام كاملة ، ثم تجزئها على أهداف شهرية ، وأسبوعية ، ويومية . على أن تكون الأهداف في نهايتها تمثل الرؤية العامة التي تطمح إليها ، ويكتمل بها المشروع في حياتك .

يمكنك الاستفادة في تحقيق مشروعك من خلال أصحاب التجارب والمشاريع السابقة ، ومن خلال الدورات التدريبية في التخطيط ، وإدارة الوقت ، وهي برامج ممكنة وكثيرة ويمكن لصاحب المشروع أن يبدأ من خلال خطوات بسيطة يصل منها في النهاية إلى مشروعه .
وثمة قضايا مهمة في التخطيط يجب أن يتنبه لها صاحب المشروع :

أولاً : يحتاج صاحب المشروع أن يصرف من وقته لصالح المشروع حتى يكتمل ويصلب عوده من ثلاث إلى خمس ساعات يومياً تزيد لا تنقص وتستثمر وفق أهداف مجدولة مستقاة من أهداف كل أسبوع .

ثانياً : يحتاج صاحب المشروع إلى حادٍ كل يوم يؤجج همته ، ويدفع بقواه ، ويحميه من اليأس والإحباط وعقبات الطريق ككتب النجاح ، والتنمية الشخصية ، والأشرطة السمعية وصحبة الناجحين ، وكل ما يعين على بلوغ النهايات .

ثالثاً : ذكّر نفسك كل يوم أنك تقطع جزءاً مثيراً في سبيل مشروعك الكبير وغاياتك العظمى ، وتقرّب مسافات أحلامك مع الأيام .

رابعاً : صقّ لنفسك خاصة في البدايات ، وكلما قطعت شوطاً ، أو أنهيت مسافة ، وقرب حلمك فكافئ نفسك برحلة ، أو راحة ، أو متعة فالنفوس كما يحدها العمل تشتاق إلى رؤية مباحج الفوز . إن الجماهير لا تجتمع مشجعة مباركة إلا بعد براهين كثيرة يكتبها واقعك تثبت أنك أهل لتصفيقها في النهايات .

كيف ينجح مشروعك ؟

(١)

لقد تعرفت خلال الوقت الذي قضيته في قراءة هذا الكتاب على مشروعك ، ونبارك لك أفراحك هذه اللحظات بأن وجدت حلمك وأملك الذي تبحث عنه من زمن ، ونذكرك بأن هذه اللحظات من أتمن لحظات حياتك ، وأجمل دقائق عمرك كلها ، وإذا وجد الإنسان فكرة تستعمره ومشروعاً يحقق له أحلامه فقد تحقق له ما يريد .

وبما أنك وصلت لهذه الحقيقة ، وتعرفت على مشروعك العمري في الحياة ، وعرفت من أين تبدأ ! ومتى ! وكيف ! فلم يبق عليك إلا أن تتعرف على إجابة هذا السؤال الكبير : كيف ينجح مشروعك ؟

إن أي مشروع في الحياة يريد له صاحبه إشراقاً في الفضاء ، ومساحة عريضة على الأرض ، وقوة وهج في الحياة لا بد أن يصنع له من أسباب النجاح ما يصل به إلى النهايات ، والأسباب المفضية إلى نجاح المشاريع كثيرة تأتي على بعضها في هذه المساحة ، من أهمها وأعظمها وأكثرها أثراً في نجاح المشروع :

تصحيح النية :

إن من أعظم الطرق التي تسلك بالإنسان إلى أفراحه ونهاية مشروعه وتحقيق غاياته صلاح النية ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " فمن صلحت له نيته صلح له كل شيء ، ومن ساءت نيته ضاع عليه كل شيء . وكم من عمل صغير عظّمته النية ! وكم من عمل كبير حقرته النية ، والله المستعان ! إن الأوقات

المستقطعة في المشاريع كثيرة فإذا ما صحبتها النية الصالحة كانت أرباحاً مثيرة في حياة صاحبها ، وإذا ما فاتت منها فات منها كل شيء . وكم من لاهث دون غاية ! وكم من محروم وهو في ساحات الخير ! وقد شكى الكبار تقلب نياتهم ، وسألوا الله تعالى جادين . وفي غزوة تبوك شارك رجال في الغزوة ، ونالوا ما فيها من أجر وهم لم يبرحوا المدينة قدر شبر وإنما نالوا بر النيات ، وثوابها حسبهم العذر . ومن أحب منازل الكبار جهد في تصحيح نيته وسأل الله عز وجل أن يجنبه محبطات الأعمال .

عيش المشروع

إذا أراد صاحب المشروع النجاح لمشروعه فلا بد أن يعيشه كل لحظة من حياته وإلا صار مشروعاً بارداً فاتراً لا قيمة له ، ولا أثر فيه ! العيش للمشروع بأن تهب له وقتك وفكرك ومشاعرك ، وتكون مستعداً لكل شيء من أجله ، وما يزال بك مشروعك حتى تستدين من أجله وترى ذلك أبسط ما تدفعه فيه وأرخص ما يكون له .

نجاحك في مشروعك موقوف على خفقان قلبك له ، وطرب أذنك به وشوق مشاعرك إليه وهتاف روحك بأحاديثه وذكرياته ، حتى يصير بضعة منك ، ويجري في مشاعرك كما يجري الدم في جسد إنسان .

إذا عاش الإنسان مشروعته دفع له كل شيء ، واستلذ فيه كل متاعب الطريق ، ولا أدل على ذلك من موقف الفقيه المالكي المحدث الإمام محمد بن سحنون القيرواني ، فقد قال القاضي عياض في ترتيب المدارك : كانت لمحمد بن سحنون سريرة يقال لها أم مدام ، فكان عندها يوماً ، وقد شغل في تأليف كتاب إلى الليل فحضر الطعام فاستأذنته ليأكل ، فقال

لها : أنا مشغول الساعة ، فلما طال عليها جعلت تلقّمه الطعام حتى أتت عليه ، وتمادى على ما هو فيه إلى أن أذّن لصلاة الصبح ، فقال : شغلنا عنك الليلة يا أم مدام ، هات ما عندك ، فقالت : قد . والله ياسيدي . ألقمته لك ، فقال لها ماشعرت بذلك .

وهو ذات الحقيقة التي عبّر عنها الزمخشري في بعض أبيات بقوله :

سهري لتنقيح العلوم ألد لي ... من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طرباً لحل عويصةٍ ... أشهى وأحلى من مُدامةٍ ساقِي

وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاه والعشّاق

وألد من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقِي

يامن يحاول بالأماني رتبي ... كم بين مُستفِئٍ وآخرَ راقِي

أبّيت سهران الدجى وتبيته ... نوماً وتبغني بعد ذاك لحاقِي

وقد تمنى عبد الله بن بشر الطالقاني تلك الأمنية التي تعبّر عن هذه اللحظات في حياة أصحاب المشاريع بقوله : أرجو أن يأتيني أمري والمحبرة بين يدي ولم يفارقني العلم والمحبرة . وتحدث ابن الجوزي رحمه الله تعالى عن هذا المعنى قائلاً : ولقد كنت في حلاوة طلي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما كنت أطلب وأرجو .. كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة ، فأخرج في طلب الحديث ، واقعد على نهر عيسى ببغداد ، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم .. وكنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي

من العَدُو لثلاً أسبق ، وكنت أصبح وليس لي مأكّل ! وأمسي وليس لي مأكّل ! ولو شرحت أحوالي لطال الشرح . وقال البزار في وصف شيخه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره ، فإنه لم يكن له مستعاراً ، بل كان له شعاراً وذناراً . وقال المزي قیل للشافعي كيف شهوتك للعلم ؟ قال : أسمع بالحرف مما لم أسمع فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثل ما تنعمت الأذنان . قيل له : وكيف حرصك عليه ؟ قال : حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال . وقيل له : كيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره . وخير ما يُعبّر عن هذا الشوق للمشاريع ما قاله أبو الريحان البيروني حين دُخل عليه وهو في آخر لحظات حياته فقال للداخل : كيف تقول في حساب الجدات الفاسدات ؟ فقال له حتى في هذه اللحظات ؟ قال له : يا هذا أودّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة خيرلي من أن أرحل وأنا جاهل بها .

ومثل ذلك ما دونه سليمان الراجحي في رحلته مع مشروعه فقد كتب في سبيل تحقيقه أروع لحظات المعاناة ، وتحمل في سبيل ذلك ما لا يتصوّره إلا أصحاب المشاريع ، كان مقدار وجبته اليومية ريال ، ومع ذلك ظل يختصرها على نصف ريال ويعيد النصف الآخر لصاحب العمل رعاية لحقه وتدريباً للنفس على الأمانة ورعاية لحقوق الآخرين ، ومرة به لحظات لا يفطر ، ولا يتغدى ، وإذا جاء وقت العشاء وقف عند الخباز طويلاً من أجل أن يقل ثمن شراء الخبز ، وعاش مرارة الجوع والفقر والذلة في مواقف كثيرة كان ثمارها هذا التاريخ الذي بناه لنفسه ووطنه وأمتة . وقال المسيري وهو يتحدث عن عيشه لمشروعه أنه قرر الاستقالة من الجامعة لإتمام مشروعه برغم أن أسرته ستصبح دون دخل ثابت ، وبعد حرب الخليج حينما أصبح من حقي العودة لوظيفتي (باعتبار أنني كنت أعمل في الخليج)

وجدت أنه لا بد من الاستمرار في التفريغ لأنهي الموسوعة (وأسمي هذا ضرباً من الجنون المقدس الذي أصابني وأصاب زوجتي لولاه ما انتهيت من الموسوعة) وقال رحمه الله تعالى : وقد نجحت إلى حد كبير في توظيف المال بدل أن يوظفني فلم أضطر قط إلى أن أقوم بعمل يتناقض مع مشروعني الفكري أو يعوقه ، ولم أعمل إلا في وظائف أقوم بتوظيفها لخدمته .. ولم أشغل أي منصب إداري من أي نوع طيلة حياتي ، حتى عملي مستشاراً ثقافياً للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك أصبحت مجرد إطار لتحقيق مشروعني المعرفي ، وحينما عُرض عليّ أن أعمل في هيئة الأمم المتحدة براتب ضخم آثرت البقاء في وظيفتي والتضحية بالراتب الضخم لأن الوظيفة الجديدة كانت تستوعب كل وقتي كما أنها تتعارض كلياً مع مشروعني الفكري . اهـ

كيف ينجح مشروعك ؟

(٢)

لا زلت أوكد عليك أن نجاحك في مشروعك مرهون بالأسباب التي تبذلها في سبيل تحقيقه قدرأً وكيفية ، فكلما ارتفعت قيمة هذه الأسباب في ذهنك ، وبذلت لها من ثمين عمرك كلما اقتربت من النجاح ، وقاربت بلوغ الطريق ، وهذه قضية لا تفوت على أمثالك ومن ذلك :

حسن الصلة بالله تعالى :

وهو من أعظم الأسباب أثراً في دفع المشاريع ، ومن حسنت سيرته مع ربه استقام له مشروعه ، وتماسكت عراه ، وتمكن من الحياة . وكم من فارط بعد تمام ، والله المستعان !

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

وإذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى فانظر سورة المزمل ، وتأمل صدرها لترى الحقائق كيف تصنع في المشاريع ! " يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً " أراد الله تعالى أن يصنع الأرض التي تستقبل الوحي ، ويقوي الجسد الذي يستقبل الرسالة ، ويحي القلب الذي يحمل المشروع . فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وهو قائم يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وظل واقفاً حتى تظرت قدماه صلى الله عليه وسلم ، ولم استوى قلبه ، وصلب عوده ، وتحمياً لنزول الوحي نزل عليه بأثقاله حتى كاد يرض فحذه فقام به في العالمين ، وما زال رافعاً راية مشروعه حتى عانق مباهج النهايات فيه .

وكذلك الكبار أدركوا أثر هذا الجانب في مشاريعهم فمازالوا عاكفين على الوصية حتى تحقق لهم من الحياة ما يشاؤون . ولا يمكن أن تأتي على مباحج مشروع كبير إلا وتجد أنفاس هذا المعنى أعطر ما تكون . وكل من توسع في هذا المعنى توسّع له التاريخ وفسح له في الذكر وأفاض عليه من الثناء .

التربية على المعالي

نجاح المشاريع مرهون بقدرة أصحابها على تربية أنفسهم على المعالي ، والنهوض بها إلى غاياتها الكبار . من أراد أن يوسّع أثر مشروعه ، ويكتب حظه من التأثير فعليه أن يقتاد نفسه لحياض المكارم ، ويزمها بلجام العمل والبناء والتحديات .

إن النفوس تكل وتمل وتتعب ، وتضجر من طول الطريق ، ومالم تكن قادرة على فرض قوة تأهيلية على ذواتها فقد تقعد في منتصف الطريق ولو كان النجاح منها رأي عين !

القراءة في سير الناجحين :

إن من المهم أن نكون قادرين على إلهاب نفوسنا بالحماس ، وإشباعها بالتشجيع ، ودفعها للمقدمة بأخبار الكبار ، من خلال قراءة سير الناجحين ، وصنّاع الحياة ، وأياً كان مشروع الإنسان فهو بحاجة إلى القراءة حتى يقوى ويثمر ويزهر ربيعاً أحضر في واقع الأرض !

ما أحوج نفوسنا إلى سماع أخبار الكبار ، والتلذذ برحلتهم ، والشوق إلى صنائعهم في التاريخ . فإذا ما حرص صاحب المشروع على سماع كل حادٍ يرفع همته ، ويدفع قوته ، ويلهب حماسه قام في الهجير يكتب حظ مشروعه من الواقع ، ويبنى مستقبل أيامه بالأمل .

حضور الدورات التدريبية :

ثمة دورت تخلق حافزاً مثيراً في النفوس ، وتجلب على جسد إنسان بخيل الأمل ورجله فإذا ما حرص صاحب المشروع على جمع الجيد منها ، وخصص وقتاً لسماعها ، ودون النافع منها دفعت به إلى مساحات من الأمل ، ومكنته من المواصلة في بناء مشروعه خاصة تلك التي تُعنى بالتحفيز ، وتعمل في بناء الأفكار ، وتُلهب كوامن النفوس . فإذا ما ضاف إليها ما يُعنى بالمهارات ، وإدارة الأوقات ، وبناء الأولويات تم بناؤه ، ووصل إلى مراده من أقرب طريق .

لقاء الناجحين :

لقاء ناجح واحد في الواقع كافٍ للدفع بمشروعك مسافات طويلة نحو بلوغ النهايات . إن الذي يتحدث من تجربة واقعية يمنحك شعوراً بقرب مسافة النجاح ، ويصوّر لك أن عقبات الطريق حكاية لا رصيد لها في الواقع ، ويثير فيك فآلاً عريضاً بتحقيق مشروعك . فعلينا أن نتعرّف على صناع النجاح ، ولو ضربنا إليهم مسافات سفر ، فالحكاية الواقعية تفرق كثيراً عن حكايات الذكريات !

استثمار الوقت

فضيلة الوقت هي التي مكنت الناجحين من تيجان الفضيلة ! أعظم الموارد في حياة إنسان وقته وزمانه ، ولن يجد صاحب المشروع مورداً لنماء مشروعه وقوته مثل الوقت . وقد كان السلف يشحون بأوقاتهم كما يشح أحدنا بديناره ودرهمه . ومن أدرك هذا المعنى ربّ وقته وحدد أولوياته ، واستثمر لحظات زمانه وهو موعود بعد ذلك بتمام أمانيه واكتمال

مباهجه. قال عبد الوهاب المسيري رحمه الله تعالى وهو يتكلم عن عنايته بمشروعه وأنه لم يتوقف عنه حتى في الأحداث الكبار : ومن أهم الأحداث المرتبطة بالموسوعة (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) : ما حدث في أثناء الاجتياح العراقي للكويت إذ اكتشفت أن كل مراجعي وأوراقى ونسخة الموسوعة الوحيدة هناك في الكويت ولم يكن من الممكن أن أبقى في القاهرة بعيداً عن كل هذا غير عارف بما يمكن أن يحدث لهذا الاستثمار الفكري فقررت أن أذهب للكويت ، وقد مكثت في الكويت أثناء الاجتياح زهاء ثلاثة أسابيع لم أتوقف أثناءها عن العمل ثم اتفقت مع مجموعة من الأصدقاء على استئجار "تريلا" (عربية نقل ضخمة) وضعت فيها كل صناديق الأوراق التي تخصني وركب أصدقائي سياراتهم ونسيت سيارتي من فرط فرحتي بالأوراق . اهـ

إن صاحب المشروع لن يبلغ هدفه ، ويصل لنهاية مشروعه ما لم يكن أشح بوقته من شحه بماله ، وستظل حياة صاحب المشروع مرهونة باستثماره لوقته ، والعناية به ، ومحاوله بناء أوقات له من الأوقات الضائعة والمهدرة في حياة كثير من الناس .

كيف ينجح مشروعك

(٣)

من الأسباب المهمة لبلوغ المشروع ، والوصول إلى نهاياته ، والتلذذ به ، وعناقه في قادم الأيام :

الصبر على طول الطريق :

صاحب المشروع يجب أن يدرك أن ثمة مسافة طويلة جداً قبل الاحتفاء بمشروعه ، ومن لم يدرك بعد شقة الطريق ومسافته فلن يصنع جديداً في واقعه . من الضروري أن يتحلى صاحب المشروع بالصبر ، وأن يعلم علم اليقين أنه لا وصول له إلى غاياته إلا على جسر من الآلم والمشاق .

قد يستغرق مشروعك عشر سنوات وأكثر ، وقد يستغرق من غيرك خمسين عاماً قبل أن يعيش إيناع ثماره ، وقد يستغرق من ثالث عمره كله ، ويرحل من الأرض وهو يشعر أن مشروعه ما زال بحاجة إلى رواء . وليس أدل على ذلك من مشاريع الرسل عليهم صلوات الله تعالى وسلامه أجمعين ، فقد عاش نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يجهد بغية النهايات التي يتمناها صاحب مشروع ، ومثله أولو العزم من الرسل ، حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم " يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل ، ويأتي النبي ومعه الرجلان ، ويأتي النبي وليس معه أحد " وقد تكون مدة انقضاء المشروع وعناق نهايته أقصر من ذلك بكثير ، وليس مهمّاً عند أصحاب المشاريع متى ينتهون من مشاريعهم ؟ المهم أن تكون نياتهم

خالصة لله تعالى ، ويبدلون لها كافة الأسباب المواتية لنجاحها ، ويتشوفون إلى لحظات نهايتها ، ويركضون إليها ركض الجادين .

من الأسباب : الثقة بالله تعالى : والتوكل عليه ، والتوجه إليه بقلبك وروحك وأنفاسك كلها ، والتطلع إلى توفيقه وسداده في كل طريق ، ولحظة ، وجهد وعمل .

ومن الأسباب : الدعاء : فإنه باب فرج ، ومفتاح أمل ، ودليل صدق الطالب في تحقيق مطلوبه من الله تعالى ، ومن أدمنه ، وألح على الله تعالى فيه ، ورفع يديه طويلاً ، وقلبه مضطراً إلى الله تعالى فتح الله تعالى عليه ، ووفقه ، وأصاب ما أراد ولو تأخر زمان الإجابة .

ومن الأسباب : التدرج في بناء المشروع : فلا يمكن أن يصل الإنسان بمشروعه إلى النهاية التي ينتظرها ما لم يتدرج في بناء مشروعه ، ويقسمه على مراحل ، ويبدأ فيه خطوة بخطوة ، فإن مثل هذا التدرج والتقسيم للمشروع يمكن صاحب المشروع من رؤية النجاح ، واللذة بالمرحلة المقطوعة فيه ، ويتجدد نشاطاً لبدء المرحلة الثانية وبلوغ نهايتها القريبة ، بخلاف ما لو بدأ في المشروع حزمة واحدة ، فقد يذبل في منتصف الطريق ، وتطول عليه أفراح النهايات ، وهذا أحد الأسباب التي ينبغي أن يدرك آثارها صاحب المشروع ، فيبدأ في تصوّر مشروعه أولاً ، ويقسمه على مراحل ثانياً ، ويحدد لكل مرحلة زمناً معيناً لا يتجاوز زمنه ثالثاً .

من الأسباب الخاتمة والمؤثرة في تحقيق المشروع : الاحتفاء بالمشروع

يجب أن يعلم صاحب المشروع أنه في زمن ضعفت فيه الهمم ، وانشغل كثيرون بواقعهم عن هموم أمتهم ومساحات دينهم ، وحالات من الإحباط تلف جمعاً من الناس ، وتكتب

عليهم في ذات الوقت التواني والكسل والعجز ، فإذا أضيف إلى ذلك قلة المشجعين لخوض التجارب الكبرى والمحاولات الجديدة كان لزاماً على صاحب المشروع أن يحتفي بنهاية كل مرحلة من المشروع ، ويشجع نفسه ببعض أوقات الراحة ، والفسح حتى تعود أكثر إقبالاً وليعلم أصحاب المشاريع أنهم قد يضطرون في بداية الطريق من أن يصفقوا لأنفسهم حتى تأتي اللحظات التي تصفق لهم فيها الجماهير .

وفي الختام :

فإن معركة الأفكار والمفاهيم هي معركة الحياة الكبرى
وعثورك على أكثر الأفكار حياة في الواقع هو عثورك
على حياتك لا فرق ! وكم من فكرة علقت في ذهن صاحبها
فصنعت له التاريخ ! ومن استقبل هذا المعنى محتفياً به
استقبله التاريخ محتفياً متوسعاً له . وأحسب أنني بنيت لك
فكرة مثيرة ، وصنعت لك واقعها ، وهديتك إلى جملة من
الوسائل والأسباب المعينة لبلوغها ولم يبق عليك سوى
اعتناقها . داعياً الله بأن تلقى في رحابها الأمل ، وأن تأتي منها
على أمانيك إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المقدمة

البدايات

لدي حُلْم (١)

لدي حُلْم (٢)

لدي حُلْم (٣)

أشواق الكبار

المشروع والذكريات

ما المشروع ؟

تأسيل المشروع

لماذا المشاريع ؟

أصحاب المشاريع (١)

أصحاب المشاريع (٢)

أصحاب المشاريع (٣)

أصحاب المشاريع (٤)

مشاريع مقترحة

مواصفات المشروع

كيف تتعرّف على مشروعك (١)

كيف تتعرّف على مشروعك (٢)

كيف تتعرّف على مشروعك (٣)

كيف تتعرّف على مشروعك (٤)

كيف تتعرّف على مشروعك (٥)

تعدد المشاريع

تغيير المشروع

المشاريع الفردية والجماعية

كيف تبدأ مشروعك ؟

كيف ينجح مشروعك (١)

كيف ينجح مشروعك (٢)

كيف ينجح مشروعك (٣)

الغلاف الخارجي

إن صناعة التاريخ فن تملكه الأرواح وليس للأجساد من ذلك شيء ..

والأرض أفسح ميدان يترك فيه الإنسان أثر خطوه ورحلته

وسنن الله تعالى في الكون تأبى أن تفتح الأبواب إلا للطارقين عليها بقوة

ولو لم أجد روعي في هذا الكتاب لبللت حبره وشربت ماءه من جديد راجياً تلك الحياة

لولا أنه قام في قلبي " مشروع العمر " قبل أن أكتب حرفاً واحداً في هذا الكتاب

يلقاني في كل طريق

ويحدوني في كل لقاء

ويقيمني وأنا في أحلى لحظات الاستمتاع .

وأجزم أنك ستلقى روعي في كل حرف تقرؤه .

المؤلف

ظهر الأحد ٢١/١٢/١٤٣٦هـ